قصـــة البعـث

رُؤْيَةٌ عَصْرِيَّةٌ لإحياء المَوْتَى يَوْمَ القِيَامَـةِ

مُحمَّد شُكْرِى حَسَن سُلَيْمان

مطبـوعــات الشعب
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« قـل لكم مِيعَادُ يومٍ لا تَستأخِرُونَ عَنْهُ ساعةً ولا تَستقْدِمُون »[1]

« صدق الله العظيم »

---

(١) سورة سبأ الآية (٣٠)

مقدمة

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾(١).

والصلاة والسلام على خير من اصطفى وعلى آله وصحبه ، وبعد ..

★★★ **البعث** أمر لاريب فيه .. فالذى وعد به هو خالق الكون العظيم القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء ..

ولقد تكرر الوعد منه سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم أنه سيحيى الموتى ويجمع الخلائق كلها فى يوم عظيم مشهود لا نظير له فى الأيام التى قد خلت من قبله لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى :—

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾(٢).

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾(٣).

﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾(٤).

﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعلى الآية (١ — ٥)
(٢) سورة النساء الآية (٨٧)
(٣) سورة الحج الآية (٧)
(٤) سورة سبأ الآية (٣٠)
(٥) سورة العنبكوت الآية (٥)

﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾[1].

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾[2].

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾[3].

﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[4].

صدق الله العظيم

★★★ والبعث أمر لا مفر ولا مهرب منه .. لأنه سواء شاء الإنسان أم أبى .. أراد أم لم يرد .. آمن به أم كفر .. فإنه سيفاجأ بعودته إلى الحياة مرة أخرى ليحاسب على كل ما كسبت يداه فى الحياة الدنيا .

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[5].

فالعودة إلى الحياة يوم القيامة من الأمور التى لا إرادة للإنسان فيها .. فكما جاء إلى الحياة الدنيا أول مرة دونما إرادة منه .. وكما سيلاقى الموت الذى لا مفر من ملاقاته كذلك سيكون بعثه لا دخل لإرادته فيه .. قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[6].

وقال سبحانه : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ ﴾[7].

---

(١) سورة الأنبياء الآية (١٠٤)
(٢) سورة الذاريات الآية (٥ ، ٦) .
(٣) سورة الواقعة الآية (١ ، ٢)
(٤) سورة التغابن الآيه (٧)
(٥) سورة يس الآية (٥١ ، ٥٢)
(٦) سورة الجمعة الآيه (٨)
(٧) سورة التغابن الآيه (٧)

★★ إن الآخرة هى التى أعطت الحياة الدنيا معنى وجعلت لها قيمة ، فلو لم تكن هناك آخرة لكانت حياتنا الدنيا عبثاً وضياعا ، ولكان بطن الأرض خيراً من ظهرها ، فما جدوى طريق ينتهى بنا إلى الموت والهلاك ؟!! وما قيمة ما نشيِّده فى الدنيا ونجمعه من مال ومتاع ونحن على يقين من أن أيام العمر محدودة وأنفاسه معدودة ، وأننا صائرون لا محالة الى ظلمات القبور لتأكل من جيفنا ديدان الأرض وهوامها الدنيئة ؟!! أى مستقبل نأمله فى دنيا يحفها المرض والعجز والموت من كل جانب ؟!!

ولكن الإيمان بأن الموت ليس هو غاية الطريق وإنما سنبعث من جديد لنحاسب على ما قدمنا من أعمال فى الحياة الدنيا نجزى عليها الجزاء الأوفى .. هذا الإيمان هو الذى يبعث الأمل الحقيقى فى حياة خالدة تالدة كريمة لاموت فيها مما يدفع الإنسان ويحفزه للعمل والبناء من أجل الدنيا والآخرة :

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(1).

فيعمل الإنسان فى الدنيا ويتكسب المال من أجل إنفاقه فى سبيل الله وابتغاء مرضاته ليزيد من رصيد حسناته ولتعلو درجاته فى الآخرة :

﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾(2).

★★★ والتفكر فى أمر البعث وأحداث الآخرة عبادة تقرب الإنسان إلى ربه ، ومتعة ونزهة روحية وذهنية لأولى الألباب الذين يدركون أن الحياة الآخرة هى الحيوان ، أى الحياة الحقيقية الجديرة بأن يوجه من أجلها كل عمل فى الدنيا ، أولئك الذين يناجون ربهم قائلين :

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾(3).

والمنكرون للبعث والمتشككون فى إمكان حدوثه أولئك هم الكافرون بالله وكتبه ورسله الذين يتساءلون مستنكرين :

---

(1) سورة القصص الآية (77)   (2) سورة الإسراء الآية (21)   (3) ال عمران الآية (9)

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾(١)

﴿ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(٢) .

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾(٣) .

فهم يستبعدون أن تعاد الأجساد التى تفرقت فى تراب الأرض إلى ما كانت عليه حية نضرة ويرون البعث أمرا بعيد الاحتمال أو هو ظن لا يقين فيه

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾(٤) .

وهكذا تبدو الحياة فى نظرهم بلا غاية أو هدف وإنما هى « الصدفة » أو « الطبيعة » أو « الدهر » أتى بهم إلى الوجود ثم يهلكهم أو يسلمهم إلى « رقدة أبدية » .

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٥)

★★★ وكانت الإجابة المفحمة على هؤلاء المتشككين وأمثالهم فى كل عصر وأوان هى أن يتفكروا فى خلق أنفسهم ليعلموا أن من أوجدهم أول مرة قادر – وهو أهون عليه – على أن يعيدهم إلى الحياة تارة أخرى ، وفى ذلك يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾(٦)

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾(٧)

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾(٨)

---

(١) سورة الواقعة الآية (٤٧ ، ٤٨)
(٢) سورة السجدة الآية (١٠)
(٣) سورة ق الآية (٣)
(٤) سورة الجاثية الآية (٣٢)
(٥) سورة الجاثية الآية (٢٤)
(٦) سورة يس الآيتان (٧٨ ، ٧٩)
(٧) سورة الأعراف الآية (٢٩)
(٨) سورة الروم الآية (٢٧) .

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾(١).

★★★ كما وجه القرآن الكريم النظر للتأمل والتدبر فى قدرة الله سبحانه وتعالى على إحياء الأرض الميتة وإخراج النبات من البذور اليابسة المخبوءة بين ذرات ترابها حال ترطيبها بغيث السماء لنعلم أن الذى أحياها لمحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير ، يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(٢).

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣)

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(٤).

★★★ ولقد بين القرآن الكريم أن البعث إنما هو أمر هين على الله سبحانه وتعالى وأن خلق البشر جميعا أول مرة ثم إعادتهم إلى الحياة مرة أخرى هو عند الله كخلق نفس واحدة .. قال سبحانه :

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾(٥).

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾(٦)

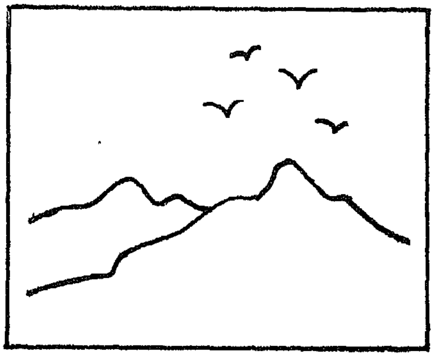
﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٧)

---

(١) سورة مريم الآيتان (٦٦ ، ٦٧)
(٢) سورة الزخرف الآية (١١).
(٣) سورة الروم الآية (٥٠)
(٤) سورة فاطر الآية (٩)
(٥) سورة لقمان الآية (٢٨)
(٦) سورة الصافات الآية ١٩)
(٧) سورة النحل الآية (٧٧)

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾[1]

★★★ والقران الكريم خافل بقصص المعجزات التى تمت بقدرة الله وبإذنه على أيدى المرسلين والنبيين والصالحين ليبين للناس أن البعث أمر لاريب فيه وأنه سبحانه وتعالى قادر على كل شىء فهذا إبراهيم عليه السلام[2] يأمره ربه أن يأتى بأربعة من الطير ليذبحها ويفرق أشلاءها على قمم الجبال المترامية ، وما أن يدعوهن حتى تتجمع الأشلاء المبعثرة ليعود الطير كما كان مرفرفا بأجنحته ملبيا نداء إبراهيم ساعياً إليه !!



وهذا موسى عليه السلام يأمره ربه بأن يلقى بالعصا اليابسة الميتة (أليافاً خشبية جافة وخلايا نباتية ميتة) لتنقلب إلى حية تسعى وثعبان مبين (خلايا حيوانية حية) !!

وذاك النبى الذى أماته الله مائة عام هو وحماره ثم بعثه ليجد طعامه وشرابه طازجاً لم يصبه عفن أو تحلل .

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3]

وهذا عيسى عليه السلام كان يجعل من الطين تماثيل كهيئة الطير فينفخ فيها

---

(١) سورة ق الآية (٤٤) (٢) أنظر سورة البقرة الآية (٢٦٠) (٣) سورة البقرة الآية (٢٥٩)

فتكون طيراً حقيقياً بإذن الله ، وكانوا يأتون إليه بجثث الموتى ليعيد إليها الحياة بقدرة الله تعالى :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾(1)

وأصحاب الكهف والرقيم الذين لبثوا فى كهفهم نياما ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ليبعثهم الله حتى يعلم الناس أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها .

★★★ وإذا كانت تلك المعجزات موجهة إلى القوم الذين بعث فيهم أولئك المرسلون لتبين لهم قدرة الله سبحانه وتعالى على إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة ، فإن القرآن الكريم وهو المعجزة الباقية إلى يوم الدين وجه الدعوة إلى أن ينظر الناس إلى خلق أنفسهم وأن يتفكروا فى خلق السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن يسيروا فى الأرض ليعلموا كيف بدأ الله الخلق ثم كيف سينشيء الله النشأة الآخرة :

﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾(2)

﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾(3) .

إنها دعوة إلى أن يعلم الناس أن الله سبحانه وتعالى قد وضع نظما وسن شرائع ونواميس يسير عليها الكون وتمضى بها الحياة ، وأن كل شيء عنده بمقدار وأن كل شيء قد خلق بقدر ، وأن لكل شيء وقتاً معلوماً لا يتأخر عنه ساعة ولا يتقدم .

وهاهوذا الإنسان وقد أمده الله من علمه ، يجول بسمعه وبصره بين نجوم السماء ومجراتها ويغوص فى الذرة ليصل إلى أدنى جسيماتها وكهاربها فلا يجد إلا النظام والإبداع

---

(1) سورة آل عمران الآية (٤٩)

(2) سورة الاعراف الآية (١٨٥)

(3) سورة العنكبوت الآية (٢٠)

والإتقان مما يشهد بقدرة الله المقتدرة وحكمته البالغة وتدبيره المحكم ، وصدق الله العظيم اذ يقول :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾(١) .

وهذا البحث الذى بين أيديكم إنما هو جهد متواضع فى سبيل إلقاء بعض الضوء على المراحل التى تنتهى بعودة الحياة إلى جسد الإنسان يوم القيامة بعد فنائه وتحلله إلى العناصر التى يتكون منها مع بيان ما يصاحب البعث من تغير فى الكون . واستهديت فى ذلك بآيات القرآن الكريم وما صح من أحاديث النبى ﷺ التى ورد فيها ذكر للموضوع ومسترشداً بما أنعم الله سبحانه تعالى به على الإنسان فى هذا الزمان من علم ولاسيما فى مجال الخلية الحية ، والكيمياء العضوية ، وعلم الأجنة ، والفلك .

هذا وتدور الفكرة المحورية فى البحث حول إثبات أن الإنسان حينما يموت ويتحلل جسده إلى العناصر التى يتركب منها إنما تتخلف عنه جرثومة أو بذرة بالغة الضآلة بمقاييس الحياة الدنيا هى خلية واحدة من خلايا جسده أو نواة هذه الخلية تفرز حول نفسها غلافاً قوياً محكماً لتظل كامنة فيه إلى يوم القيامة حيث تؤدى دورها الهام حينما تذيب غلاف التجرثم وتأخذ فى الانقسام لتعيد جسد الإنسان كما كان .

وقد مهدت لموضوع البحث بالحديث عن حقيقة الإنسان هل هو روح أم مادة ؟ لينتهى الرأى فى هذه المسألة إلى أن الإنسان ليس بروح مجرد ، ولا جسد محدد ، وإنما هو نتاج اتصال الروح بالجسد . وأن للروح الهيمنة والإرادة وإليه تنتهى الأحاسيس وينتقل الفكر والوجدان عبر الجسد .

ثم ينتقل الحديث إلى بيان العلاقة بين الروح والحياة حيث نرى أن الروح ليست هى السبب المباشر لوجود الحياة بخلايا الجسد بدليل أنه يمكن الحفاظ على بعض أجزاء من الجسد حية بعد موت الإنسان .

ولما كان إحياء الإنسان يوم القيامة يشبه إلى حد بعيد إنبات النبات من التربة الميتة فقد تناولت بالحديث عوامل الإنبات من بذرة وتربة وماء وهواء وحرارة وضوء

---

(١) سورة فاطر الآية (٢٨)

لأبين أن هناك عوامل مشابهة سيتحقق ويكتمل حدوثها يوم القيامة لتؤدى فى النهاية إلى إخراج الموتى من قبورهم .

وتناول البحث بالتحليل والدراسة آيات القرآن الكريم التى تفيد بأن خواص الإنسان وصفاته مدونة فى كتاب حفيظ ، كما تم إلقاء الضوء على أحاديث النبى ﷺ التى تبين أنه سيبقى من جسد الإنسان – بعد فنائه وتحلله – موضع من عجب الذنب صغير كحبة الخردل منه يركب الإنسان يوم القيامة .

وباستعراض ما توصلت إليه علوم الأحياء والكيمياء – بفضل من الله ومشيئته – من أسرار خلق جسد الإنسان وعجائب مكنونات الخلية الحية ونواتها يتبين أنه يوجد بنواة كل خلية من خلايا الجسد سجل مكتوب فيه – بطريقة تدعو إلى الدهشة والإعجاب – وصف دقيق وشامل ، لجميع خواص وصفات الإنسان . وأن التجارب أثبتت أنه يمكن بنواة خلية واحدة الحصول على نسخة طبق الأصل من الجسد الذى أخذت منه النواة . وهذا ما يرجح النتيجة التى انتهى إليها البحث من أن المقصود بحبة الخردل فى حديث النبى ﷺ هو نواة خلية واحدة من خلايا الإنسان ، وأن الكتاب الحفيظ الوارد ذكره فى القرآن الكريم هو السجل الدقيق الموجود بتلك النواة .

ثم استعرض البحث عدداً من الأمثلة لبعض الكائنات الحية التى إذا ما تعرضت لعوامل مهلكة تضمر وتجف وتحيط نفسها بأغلفة صلبة منيعة لتفقد معها كل مظاهر الحياة . ومع ذلك فهى بمجرد أن تنقع فى الماء تعود إلى الحياة لتمارس نشاطها المعتاد . ومن هذه الأمثلة وغيرِها يتبين قدرة الله سبحانه وتعالى على حفظ الجراثيم الآدمية إلى يوم القيامة لتؤدى الغرض منها .

والبحث يتعرض لطبيعة الأرض التى سيبعث منها الناس ، وما يطرأ عليها من تغير وتبدل ، والماء الذى ستنبت به الأجساد من جراثيمها ، ووصف هذا الإنبات ومراحله ، وهل الإنسان سيبعث بالهيئة التى كان عليها فى الحياة الدنيا أم ستتبدل هذه الهيئة إلى مالا نعلمه .

كما يتضمن البحث تحليلا لبعض ظواهر الانقلاب الكونى يوم القيامه مثل : استحالة السماء إلى حميم منصهر ، واشتعال ماء البحر ، واقتراب الشمس ، وطبيعة

دوران الأرض حولها فى ذلك اليوم ؟ ، وهل هناك ليل ونهار أم أنه نهار سرمدى . وماذا عن القارات والمحيطات فى ذلك اليوم وهل البعث حدث يخص أهل كوكب الأرض أم أنه حدث كونى يشمل السماوات والأرض ؟ .

ويختتم البحث موضوعه بالحديث عن أرض المحشر التى يتم فيها الحساب لتجزى كل نفس بما كسبت وبما هو أهل لها .

هذه كانت فى عجالة خلاصة موضوع هذا الكتاب . وإنى لأتوجه إلى السادة القراء برجاء خالص فى أن يتأنوا عند قراءته ، كما يسعدنى كثيراً أن أتلقى منهم أية اجتهادات أو آراء علمية فى مجال بحثه ، وأرحب بأى توجيه ، أو نقد ، أو استفسارات ترد منهم حول الموضوعات والقضايا التى يتضمنها ، راجيا أن يكون الحوار بيننا دائماً موصولا ومثمراً .

والله أسأل أن يتقبل منى ، وأن يبارك فيه ، وينفع به ، وهو يهدى السبيل .

محمد شكرى حسن سليمان

الباب الأول

الروح والجسد والحياة

الروح والجسد والحياة

من المسلم به أن حقيقة الروح وطبيعة جوهرها من الأمور التى لا يحيط بعلمها أحد إلا الله سبحانه وتعالى حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(1) . صدق الله العظيم .

ولكن هناك – من أمثال ماركس وفرويد وأتباعهما – من ينكر وجود الروح أصلاً ويعتبره خرافة من الخرافات وأن الإنسان وأى كائن حى ما هو إلا مادة مجردة رتبت وفق نظام خاص ، وما الروح فى نظرهم إلا مجموع الخلايا الحية التى يتكون منها جسد الإنسان ، وتسيطر عليها خلايا الدماغ وفق نظام معين ، أما أن يكون للروح وجود قائم بذاته وجوهر يخالف جوهر المادة فهذا هو ما تأباه عقولهم ، وتصر على إنكاره ، أو هو عندهم مجرد معنى مجازى لا حقيقة له حيث لا تحيط به حواس ولا يخضع لتجربة أو قياس ، وبالتالى فهو غير موجود ، وكل من يقول بخلاف ذلك فهو إنسان متخلف عقليا لا يؤمن بالمنهج العلمى الذى ارتقت به الأمم وتقدمت !!

وعلى النقيض من هؤلاء يرى آخرون كالهندوس ومن شايعهم أن الإنسان روح مجرد وما الجسد إلا رداء يرتديه الروح لا يؤثر فى شخصية الإنسان أو يدخل فى تركيب حقيقته بل إن الجسد معطل للروح عن بلوغ كماله لذلك فإنهم يعذبون الجسد ، ويقتلون رغباته ، ويمارسون أنواعاً من الرياضات والمجاهدات الشاقة فتبلغ الروح غايتها وتكتمل للإنسان إنسانيته فإذا مات أحدهم أحرقوا جسده وذروه رماداً فى الرياح لأنه عندهم

---

(1) سورة الإسراء الآية (85) .

لا يساوى شيئا ، فما الجسد إلا مجرد رداء للروح لا دخل له فى شخصية الإنسان أو حقيقته .

فهل الروح مجرد خرافة لا جود لها فى الواقع كما يزعم البعض ؟ وهل الإنسان مجرد مادة بترتيب خاص ولا شيء بعد ذلك ؟! أم هو على العكس مجرد روح ولا دخل للمادة فى طبيعة تكوينه وصفاته وشخصيته ؟!

حول هذه المسائل يدور حديثنا فى هذا الفصل فنقول بعون من الله : –

عدم إحساسك بشيء ما لا ينفى حقيقة وجوده : –

إن أولئك الذين ينكرون وجود الروح بدعوى عدم رؤيتهم لها وإحساسهم بها وعدم خضوعها للتجربة والقياس – هم فى الواقع لا ينكرون وجود الروح وحدها وإنما ينكرون معها كل ما اتسم بصفة الغيب ؛ أى كل مالا تحيط به حواس الإنسان ولا يخضع لتجربة أو قياس ، فهم للسبب ذاته ينكرون وجود الله – والعياذ بالله – وينكرون الملائكة والجان والشياطين والبعث والحشر والحساب والجنة والنار ويكذبون كل من دعا للتصديق بهذه الأمور كالأنبياء والمرسلين .

ونحن هنا لا نناقش هؤلاء فى إنكارهم لوجود الله وملائكته والجان والآخرة ولكن نقول إن إنكارك لوجود شيء ما بدعوى أن حواسك العاجزة وعلمك القليل وإمكانياتك المحدودة قاصرة عن إدراكه والإحاطة به لهو بحق حجة داحضة فكم من الأشياء والحقائق كانت غائبة عن مدارك الإنسان وخافية عن حواسه ثم أدركها بعد أن طور من أدواته وآلاته كالميكروبات الدقيقة والخلية الحية وجزيئات المادة والذرة وجسيماتها ، فهل جهل الإنسان بهذه الأشياء وعدم إدراكه لها فى الماضى يعنى أنها لم تكن موجودة أصلا ثم وجدت بعد أن علم بوجودها ؟!

هناك فرق بين وجود الشيء وبين علمك بوجوده ، فالأشياء الحقيقية موجودة سواء علمت بوجودها أو جهلت هذا الوجود ، ولا ينقصها شيئاً من حقيقتها جهلُك بوجودها كما لا يزيدها شيئا علمُك بوجودها .

الفراغ فى نظر العلماء :

■ ولاتزال هناك أشياء خافية على حواس الإنسان وعلى أكثر أجهزته دقة وحساسية ومع ذلك فإن العلماء يفترضون وجودها افتراضا لأن افتراض وجود هذه الأشياء يحل

عندهم كثيراً من المسائل والألغاز التى يستعصى على عقولهم حلها . ومن ذلك ما يعرف فى علم الفيزياء بالنظرية الفراغية. حيث تفترض هذه النظرية أن الفراغ الخالى تماماً من أية مادة ليس عدماً محضاً وإنما هو مكون من وحدات أو جسيمات « فراغية » ذات طبيعة خاصة « وأن هذه الجسيمات تمتلك طاقة صغيرة لا ترى ليس بالعين المجردة فحسب ، بل ولا بالأجهزة الدقيقة أيضاً . ولكن الجسيمات الفراغية تتأثر بالجسيمات المادية ، وتستمد منها الطاقة ، وإذا كان التأثير ، قوياً فإن الجسيم الفراغى يتحول من الحالة الفراغية غير المرئية إلى الحالة المادية العادية ، ويبدو هذا من الخارج كولادة جسيم . كما يمكن اعتبار فناء الجسيمات المادية تحولا إلى الحالة الفراغية . إن طريقة الوصف هذه ليست ممكنة فحسب ، بل هى طبيعة فى النظرية الفراغية لأنها تسمح بشرح عمليات ولادة وفناء الجسيمات ، وذلك باعتبارها تحولات من حالة إلى أخرى ، وفى الحقيقة تبدو إحدى هاتين الحالتين غريبة بعض الشيء »(1)

وهكذا نجد أنه فى سبيل تفسير ظواهر محيرة آمن العلماء الطبيعيون بوجود أشياء تغيب عن حواسهم وأجهزتهم الدقيقة فما بالهم ينكرون الروح بدعوى أنهم لم يشاهدوها أو يحسوا بها ؟!

القرآن الكريم والأحاديث النبوية يثبتان وجود الروح : –

■ والمؤمن بكتاب الله ورسالة نبيه ﷺ لايجد صعوبة فى إثبات وجود الروح كحقيقة تستقل عن البدن حيث يقول المولى سبحانه وتعالى عن خلق آدم :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾(2)

فالأمر بالسجود علق على نفخ الروح فيه بعد التسوية ولو لم يكن فى النفخة سر يغاير سر الحياة التى يحيا بها البدن وتشارك فيها كل الحيوانات لما كان لآدم فضل على غيره من الحيوانات .

وعن خلق الإنسان يقول المولى سبحانه وتعالى :

---

(١) الفقرة مأخوذة بتصرف من كتاب « القوى فى الطبيعة » تأليف فلاديمير فاندنج أستاذ فى جامعة موسكو وعمل فى قسم نظرية الكم .

(٢) سورة الحجر الآية (٢٩)

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾[1] .

فالجسد بدأ من ماء مهين ، بخلية واحدة انقسمت وتكاثرت إلى ملايين الخلايا الحية المتخصصة ، لتتكون منها كل الأعضاء والأجهزة من : قلب وطحال ومعدة وعظام وأطراف ودم ، وبعد أن تمت تسوية الجسد بكامل هيئته نفخ الله فيه من روحه : أى أن الروح شيءٌ مضاف إلى البدن الحى وليس بشيءٍ نابع منه .

ويؤكد هذا المعنى قول النبى صلوات الله وسلامه عليه فى حديث صحيح : « يُجمع أحدكم فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح »[2] ويفيد بأن الروح تسكن البدن بعد مائة وعشرين يوماً من بدء خلقه نطفة فعلقة فمضغة ، أما قبل ذلك فهى لم تكن موجودة مع أن الجسد بدأ بخلية حية تتغذى وتتنفس وتخرج وتتكاثر . أى أن الروح جاءت إلى الجسد من خارجه ولم تنبع من داخله .. أى أنها شيءٌ أضيف إليه ولم يتولد منه .

وفى أنفسكم أفلا تبصرون : -

وإذا كان المنكرون لوجود الروح لا يؤمنون بالله وكتبه ورسله ، ولا تجدى معهم البراهين المستنبطة من كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ ، فعليهم كما قال الله سبحانه وتعالى أن ينظروا فى أنفسهم ، ويتأملوا فى خلقها ، ليجدوا فيها الحجج الدامغة والبراهين القاطعة على أن للروح كيانا يتميز عن البدن . وبينٌ لهم ذلك على النحو التالى : -

الإرادة واللاإرادة فى الجهاز العصبى : -

يتحكم الجهاز العصبى المركزى (المخ والمخيخ والنخاع المستطيل والنخاع

---

(١) سورة السجدة الآيتان ٧ ، ٩ .

(٢) رواه مسلم بسنده بشرح النووى ، الجزء الخامس عشر ، باب القدر .

الشوكى) فى كل أعضاء وأجهزة الجسد ، ويسيطر عليها سيطرة تامة ، وذلك عن طريق ما يتلقاه منها من أحاسيس ومشاعر ومايبثه إليها من أوامر صارمة واجبة النفاذ ، ولكل عضو من أعضاء الجسد مركز فى المخ يتحكم فيه ويهيمن عليه ، فهناك مركز للقدم وآخر لليد ، وآخر للكلام ومراكز للتحكم فى القلب والرئتين والمعدة والأمعاء والطحال والبنكرياس ، ومراكز للتحكم فى حرارة الجسد والنوم واليقظة .

ولقد صنفت هذه المراكز العصبية إلى مراكز إرادية وهى التى تتحكم فى أعضاء الحركة والحواس ، وأخرى لا إرادية وهى التى تهيمن على الأجهزة الحيوية والخطيرة فى جسم الإنسان كالقلب والأوعية الدموية والكلية .

فالمراكز الإرادية للمخ لا تعمل من تلقاء ذاتها ، وإنما تتلقى التعليمات بأن تفعل أو لا تفعل من جهة عليا وهى « الإرادة » بينما المراكز اللاإرادية لا تخضع فى عملها لهذه « الإرادة » وإنما هى « مبرمجة » لتتصرف تلقائيا وبكفاءة تامة عند إدارتها لأجهزة الجسم الحيوية والخطيرة .

ويعد تميز مراكز المخ إلى منطقة تسيطر عليها الإرادة وأخرى لا تسيطر عليها من أقوى الأدلة على أن هذه الإرادة مفروضة من الخارج على الجسد الحى ، وليست نابعة من مجموع خلاياه إذ لو كان الأمر كذلك لهيمنت هذه الإرادة على جميع المراكز العصبية ولكانت لها السيطرة المطلقة على جميع أجهزة الجسم بلا استثناء فيتحكم الإنسان فى ضربات قلبه ودرجة حرارته وحركة أمعائه وإفراز العصارات الهاضمة ما دامت هذه الإرادة هى قوة تعبر عن مجموع خلايا الجسد كما يزعم الزاعمون . ولكن قصر هذه الإرادة على مراكز فى المخ دون مراكز أخرى يثبت أنها قوة مفروضة على الجسد من قبل قوة أعلى ، شاءت أن يكون لهذه الإرادة هيمنة على أعضاء من الجسد دون أعضاء أخرى .

والحكمة من ذلك هى أن الأجهزة التى تهيمن عليها الإرادة ، وهى أعضاء الحركة والكلام والتفكير والحواس تمثل مناط التكليف بالنسبة للإنسان وعليها يكون حسابه يوم القيامه :

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[1]
﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[2]
﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[3]

أما الأجهزة التى لا تسيطر عليها الإرادة فهى تلك اللازمة لاستمرار حياة الجسد ، وبقاء الإنسان على قيد الحياة وهو لا يسأل عن أدائها لوظائفها .

تلك الإرادة المفروضة على الجسد من خارجه هى إرادة الروح .. روح الإنسان التى هى من روح الله ، والتى لا يعلم حقيقة جوهرها إلا الله سبحانه وتعالى .

نقــل الأعضــــاء : -

ومما يثبت بما لايدع مجالا للشك أن للروح حقيقة وكيانا يستقل عن الجسد هو أن فقد بعض أعضاء الجسد أو استبدالها بأعضاء أخرى من أجساد أشخاص آخرين لا يؤثر فى شخصية الإنسان فنقل كلية من جسد إنسان لتزرع فى جسد إنسان آخر لا يترتب عليه نقل جزء من شخصية الإنسان الذى أخذت منه الكلية ، أو يغير من شخصية الإنسان الذى نقلت إليه .

****

(١) سورة الاسراء الآية (٣٦)
(٢) سورة ق الآية (١٨)
(٣) سورة يس الآية (٦٥) .

الـروح والحيـاة

هـل الـروح هى التى تبعث الحياة فى الجسد فإذا ما خرجت منه ماتت الخلايا الحية من فورها ؟!

● الإجابة هى أنه لا علاقة بين الحياة التى تحيا بها الخلايا ، وبين الروح ذات الإرادة التى تسكن الجسد ، حيث يمكن لهذه الخلايا أن تعيش بعيداً عن الروح إذا ما توافرت لها الظروف المناسبة لمعيشتها ، كما لا يمنع وجود الروح فى الجسد من موت بعض خلاياه لسبب أو لآخر . فالروح ليست هى السبب فى وجود الحياة بهذه الخلايا والأدلة على ذلك بينة واضحة نسوقها كمايلى : -

١ - رأينا كيف أن آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ تفيد بأن الروح تنفخ فى الجسد بعد مائة وعشرين يوماً من بدء التكوين .. وحيث إنه من المعلوم أن الجسد إنما يبدأ بخلية حية واحدة تنقسم إلى ملايين الخلايا الحية نستنتج من ذلك أن الجسد يظل حياً لمدة مائة وعشرين يوما فى غياب الروح .

٢ - يمكن الحفاظ على بعض أجزاء الجسد حية بعد موت الإنسان إذا ما توافرت لهذه الأجزاء الظروف الملائمة والغذاء المناسب . بل إنه يمكن الحفاظ على الجسد كله - فيما عدا خلايا الدماغ -[١] حياً بعد موت صاحبه ومفارقة روحه لجسده ، وذلك على شرط أن تتوافر لهذا الجسد الظروف الملائمة لاستمرار حياته .

وقد أمكن الحفاظ على جسد امرأة حامل حياً لمدة ثلاثة أشهر بعد موتها حتى إذا ما اكتمل خلق الجنين تم إخراجه بعملية قيصرية .

---

(١) لأن الإنسان يموت بموت خلايا الدماغ .

كما يشيع الآن فى بعض المراكز الطبية بالعالم الحفاظ على أجساد بعض الموتى حية بغرض الاستفادة من أعضائها لتزرع فى أجساد المرضى ممن هم فى حاجة إليها[1].

هذا ويلاحظ عند ذبح الماشية والأغنام أنه عندما تخمد أنفاس الذبيحة تستمر بعض العضلات فى الانقباض والانبساط مشيرة إلى أن خلاياها لاتزال حية بما فى ذلك عضلات القلب الذى يستمر فى النبض فترة من الزمان حتى بعد فصله من جسد الذبيحة .

أهميـة الـروح للبـدن : -

● ومع أن الروح ليست هى السبب المباشر فى وجود الحياة بخلايا الجسد إلا أن وجودها ضرورى لاستمرار الحياة بهذه الخلايا . ذلك أن بقاء الجسد على قيد الحياة بدون الروح مرهون بمده بما يحتاج إليه من غذاء مع تهيئة الظروف الملائمة لمعيشته ، والجسد الحى فى غياب الروح عاجز عن تدبير احتياجاته من تلقاء ذاته ، وإنما يظل جاثماً فى مكانه ، ومثال ذلك النائم حتى يستيقظ ، والمصاب بغيبوبة حتى يفيق منها .

فالروح - صاحبة الإرادة - هى القادرة على تدبير الغذاء والكساء والمأوى ، وصد العدوان ، والنجاة بالجسد من المهالك . فالجسد بلا روح - وإن كان حياً - عاجز عن تدبير أموره ولا مصير له إلا الهلاك ..

ماهى الحياة ؟! :

● وإذا كانت الروح ليست هى السبب فى الحياة فما هى الحياة إذن ؟!

ونجيب بأن الحياة كالروح تماماً لا يعلم سرها إلا الله .. وقصارى علم الإنسان هو أن يميز ما بين الكائن الحى والجمادات ، وأن الخلية الحية هى الوحدة الأولى التى تتكون منها كل الكائنات الحية ، وهى تتكون من رقائق وجزيئات مرتبة ترتيباً محكماً يتبع نظاماً خاصاً معقداً يؤدى إلى تكوين مواد عضوية معينة ، وأن هناك قوة تهيمن على هذا النظام ، وتتحكم فيه ، وهى التى تميز ما بين الخلية الحية والخلية الميتة .. تلك القوى هى الحياة التى لا يعلم سرها إلا الله .

الإنسان روح وجسد

ثـم نأتى إلى أولئك الذين يزعمون أن الإنسان ما هو إلا روح مجردة ، وما الجسد إلا رداء لها لا يؤثر فى شخصية الإنسان أو يدخل فى تركيب حقيقته .

فنقول : إن خلق الإنسان بدأ من طين حيث يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾(1)

أى أن الإنسان لم يبدأ خلقه بنفخ الروح حتى يقال إنه روح مجرد وإنما بدأت إنسانيته بعناصر الطين التى يتكون منها جسده ، وبنفخ الروح اكتمل خلقه كإنسان فهو مركب من روح وجسد .

هذا ويتبادل كل من الجسد والروح التأثير على الآخر ، ويتضح ذلك جليا عند دراسة التفكير والإحساس والانفعال عند الإنسان . وهو الأمر الذى نناقشه على النحو التالى : —

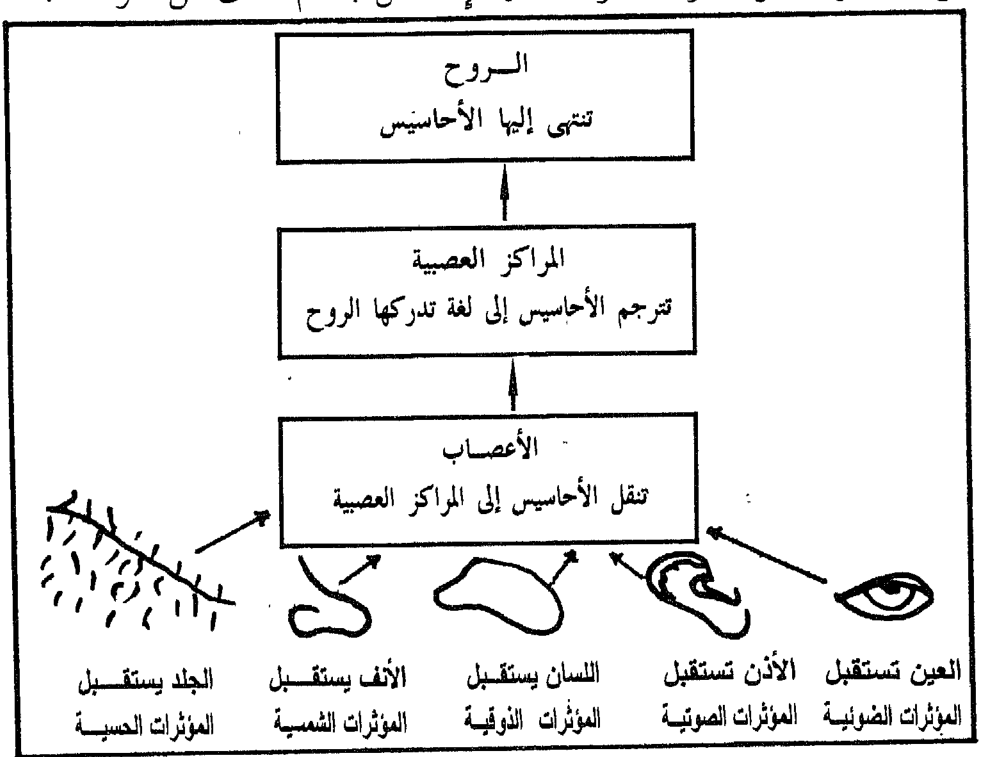
ما بين الروح والجسد : —

الروح هى صاحبة الإرادة التى تهيمن على الجسد وإليها تنتهى الأحاسيس وينتقل الفكر والوجدان عبر الجسد فالمخ لا يستطيع أن يأمر أصبعاً وقدماً بالحركة إلا إذا شاءت الروح .. والمخ لا يستطيع أن يركز التفكير فى حل مشكلة إلا بإرادة الروح .. والذى يبصر ويسمع ويتذوق ويشم ويتلمس فى الحقيقة هو الروح .

(1) سورة السجدة الآية (7 — 9) .

الإحساس مابين الروح والجسد : -

فالروح جوهر له استعداد لأن يحس بالضوء والصوت والرائحة والمذاق والملمس ، ولكن هذه الأحاسيس لا تنتقل إلى الروح مباشرة من مصادرها وإنما تترجم من خلال الأعصاب ومراكز الإحساس فى المخ إلى هيئة يمكن للروح أن تحس بها ، وهنا تكمن العلاقة بين الروح والجسد فيما يخص الإحساس ، فالروح تحس بالعالم المادى عن طريق الجسد ، وإذا سلطنا شعاعاً ضوئياً أو موجات صوتية نحو الروح المجردة لاتحس بها ، بدليل أن من يفقد عينيه لايرى ، ومن تتلف أعصاب بصره لا يرى ، ومن تتلف فى مخه مراكز الإبصار لا يرى وقل مثل ذلك بالنسبة للحواس الأخرى ، ولو كانت الروح ترى وتسمع وتشم وتتذوق وتتلمس مباشرة بغير أدوات مادية لاستغنى الإنسان عن عينيه وسمعه وأنفه ولسانه وجلده فى الإحساس بالعالم المادى من حوله[1] .



(١) نوجه عناية القارىء الكريم إلى أننا نتحدث عن أحوال الروح والجسد فى الحياة الدنيا ، أما الروح بعد الموت وتجردها من الجسد فلا أحد يعلم إلا الله كيفية احساسها مما حولها وعما إذا كان سيستمر احساسها بالعالم المادى أم ستحس بعالم آخر كالملائكة والجان التى يعجز الإنسان عن الاحساس بها فى الحياة الدنيا .

التفكير :

أما فيما يتعلق بالتفكير والذاكرة فإن خلايا المخ هى التى تقوم بعملية التفكير واختزان المعلومات واسترجاعها وتحليلها وتقييمها وطرح البدائل ، ولكن ذلك لا يكون إلا فى وجود الروح وتحت هيمنتها وإشرافها ، ولا يقوم المخ بالتفكير لحل مشكلة ما إلا إذا اتجهت إرادة الروح نحو ذلك .

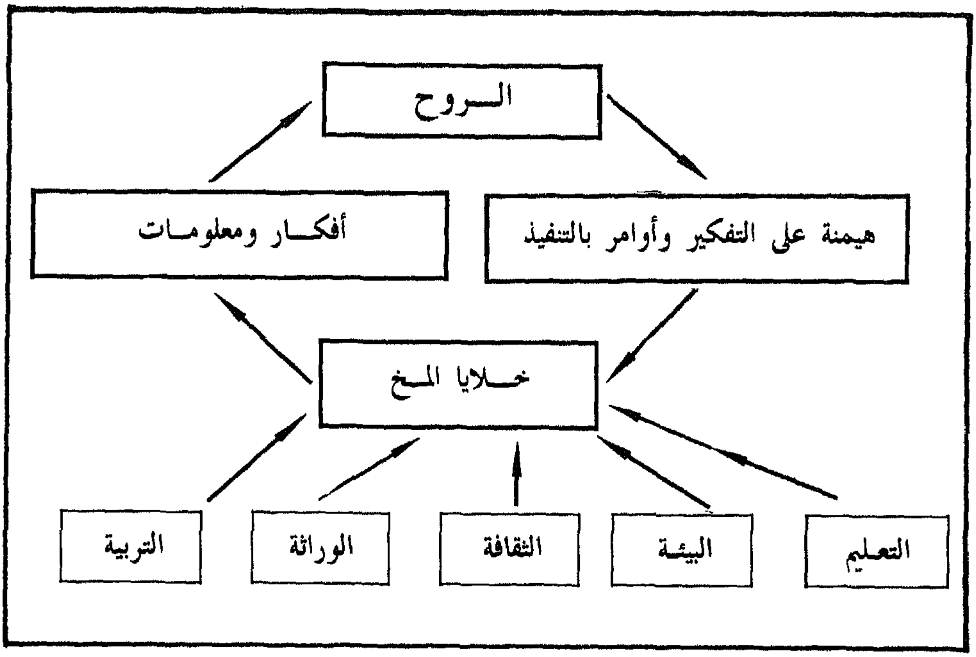
وتقع على الروح مسئولية الاختيار بين البدائل التى تطرحها تلك الخلايا وإصدار الأمر لتنفيذ البديل الذى يقع عليه اختيارها وهو أكثر البدائل توافقاً مع طبيعتها ، فمثلاً الشاب الجالس على مقعد فى قطار مزدحم عند رؤيته لسيدة تحمل طفلا رضيعاً فإن خلاياه المفكرة تحلل الموقف وتفيد بأن الطفل يشكل عبئاً ثقيلا على السيدة وأنه يتعذر عليها التخلص من هذا العبء بوضعه على أرض القطار فتدوسه قدم ، أو وضعه على سلة الأمتعة فيسقط منها .. وتطرح خلايا الفكر على صاحبها البدائل الآتية : –

الأول : –أن يتنازل عن مقعده للسيدة وطفلها مع ما فى ذلك من إرهاق لبدنه .

الثانى : – أن يحمل الطفل بدلا من أمه على أن يظل جالساً مع احتمال أن يتجهمه الطفل أو يتبول على ملابسه .

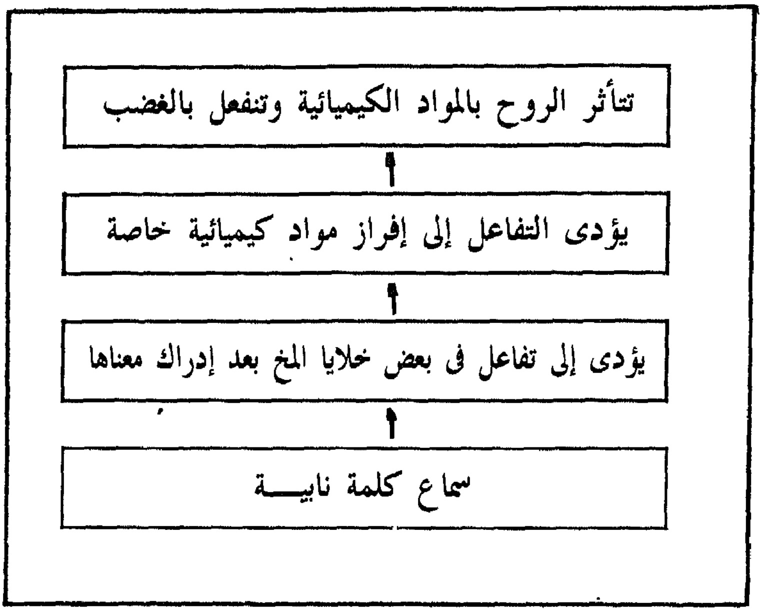
الثالث : – ألا يكترث بأمر الأم وولدها ليريح جسده المرهق ويتجنب وقوع مشاكل هو فى غنى عنها مع احتمال استنكار مجتمع القطار لهذا التصرف .

وعلى الروح أن تختار البديل الأقرب إلى طبيعتها . وإذا كان للتعليم والثقافة والتربية والبيئة والوراثة أثرها على خلايا الفكر فتجود بأفضل البدائل إلا أن الاختيار بين هذه البدائل هو فى النهاية للروح وليس لخلايا المخ مهما كانت هده الخلايا عامرة بالأفكار النيرة والآداب الرفيعة ، فالطبيب الذى نال حظاً وافراً من التعليم والتزود بشتى فروع المعرفة لا يمنعه علمه الغزير ولا ثقافته الواسعة من ابتزاز المرضى والثراء الفاحش على آلام وأوجاع الآخرين ، كما لا تمنع الأمية رجلا حرم من التعليم والثقافة من أن يضحى بحياته فى سبيل طفل حاصرته النيران أو آخر بشرف على الغرق .



الانفعـــال :

أما عن الانفعال فإن الذى يفرح ويحزن ويتلذذ ويتألم هو الروح ، ولكن هذه الانفعالات تنتقل إلى الروح من خلال خلايا متخصصة فى الدماغ ، ذلك أن إدراك الروح للمعانى المؤثرة يكون دائماً مصحوباً بتفاعل كيميائى بهذه الخلايا يؤدى إلى إفراز مواد كيميائية هى التى تحدث بالروح الانفعال المناسب ، فبمجرد إدراك كلمة نابية مثلا لا يؤدى إلى انفعال الروح بالغضب ولكن الذى يجعلها تنفعل بالغضب هو أن إدراك معنى هذه الكلمة يكون مصحوبا بتفاعل كيميائى يؤدى إلى إفراز مواد تسبب انفعال الغضب ، فلو حدث خلل بخلايا المخ جعلها تفرز هذه المواد الكيميائية دونما سبب منطقى سنجد أن الروح أيضاً ستنفعل سروراً أو غضباً أو حزنا حسب الأحوال بغير مبرر ، أو دافع منطقى . والعكس صحيح فلو امتنعت هذه الخلايا عن إفراز هذه المواد الكيميائية عند إدراك معانٍ منطقية تستدعى هذه الانفعالات نجد أن الروح لا تنفعل وتصاب بجمود فى المشاعر .



ولقد تأكد ذلك من خلال تجارب أجراها العلماء المتخصصون مثل : تحويل ثور هائج إلى حيوان مسالم وديع عن طريق التأثير على المراكز العدوانية بمخه ، وأمكن تطبيق نتائج هذه التجارب فى تشخيص وعلاج الأمراض النفسية كعلاج الاكتئاب مثلا بتعاطى عقاقير تسبب الانشراح والسعادة !! ، كما لا يخفى ما تحدثه المخدرات من آثار غير حميدة فى هذا الشأن .

وللروح القدرة على التحكم فى الانفعال وترشيده ، فحين يثار انفعال اللذة مثلا لدى رؤية طعام شهى يمكن للروح أن تمتنع عن تناوله ، وحين يثار انفعال الخوف لدى رؤية عدو مدجج بالسلاح يمكن للروح أن تأمر بمهاجمته مهما كانت النتائج . وإن كانت هذه القدرة على ترويض الانفعالات والتحكم فيها تتفاوت بين الأرواح بحسب طبائعها . فعند الغضب مثلا هناك أرواح تميل إلى الثورة بالقول أو بالفعل بينما تؤثر أرواح أخرى كظم الغيظ ، والعفو عن المسىء عند المقدرة ، وتوجيه النصح والإرشاد وهى الأرواح التى لم تستسلم لآثار التفاعلات والمواد الكيميائية عليها .

****

الباب الثانى

إحياء الأرض الميتة

إحياء الأرض الميتة

وصف القرآن الكريم	إخراج الموتى من قبورهم وإعادتهم إلى الحياة يوم القيامة بأنه سيكون مماثلا لعملية إحياء الأرض بعد موتها وإخراج النبات منها ذلك حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(١)

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾(٢) .

والأرض الميتة التى يحييها الماء هى ذلك الجزء من القشرة الأرضية الذى تفككت مكوناته نتيجة لعوامل التعرية ويحتوى على أملاح معدنية وعناصر غذائية وبذور صالحة للإنبات تخلفت من حياة نباتية سابقة .

وإحياؤها يكون بتحول عناصرها إلى مركبات عضوية فى خلايا حية متقنة الصنع محكمة البناء .. أو بعبارة أخرى تحول التراب إلى جذور وسيقان وأغصان وأوراق وزهور مختلف أشكالها وألوانها .

عوامل إنبات النبات : –

ووفقاً للنظام الذى شرعته المشيئة الإلهية فإنه يوجد أكثر من عامل يساهم فى عملية إحياء الأرض وإخراج النبات منها ، من هذه العوامل البذرة الصالحة للإنبات.

(١) سورة الروم ، الآية (١٩) .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٩) .

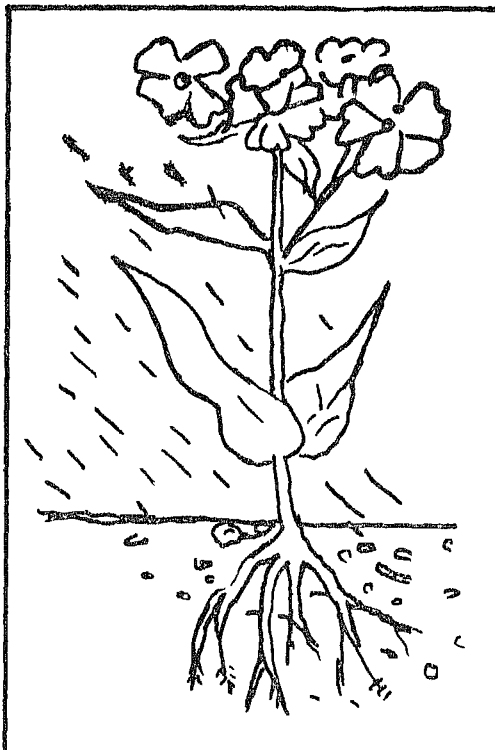
والأرض الصالحة للزراعة والماء الصالح لرى النبات فضلاً عن عوامل أخرى لا تقل أهمية كالهواء والحرارة والضوء المناسب .

فالبذرة فيها الكتاب المسطور والخطة المحكمة التى أودعتها القدرة الإلهية بنواة خليتها .

كما لابد من تربة مفككة الحبيبات غنية بالعناصر اللازمة لنمو النبات حتى تتمكن الجذور من التغلغل فيها وانتقاء المناسب منها .

فالتربة الصخرية مثلا لا تصلح لنمو النبـــات لشدة صلابتها وتماسك أجزائها ، وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾[1]



الشكل : لابد من تربة صالحة للزراعة مفككة الحبيبات حتى يتحلل فيها جذور النبات وتمتص المواد الذائبة .

أى كصخرة انهمرت عليها أمطار غزيرة أزالت ما عليها من غبار دون أن تغير شيئاً من صلابتها أو تنبت فيها زرعا ، فى حين يصف القرآن الكريم التربة الطينية الصالحة للزراعة بأنها تستجيب لأقل قدر من الماء ، يقول تعالى :

﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾[2]

أى كأرض طيبة تجود فيها الزراعة بمكان مرتفع إذا أصابها وابل من الغيث

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٦٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٦٥) .

أخرجت نباتاً غزيراً مضاعفاً ، والرخة القليلة من ماء المطر تكفى لإخراج النبات منها لجودة تربتها .

والماء ضرورى لإذابة العناصر الموجودة بالتربة فيسهل على الجذور امتصاصها والاستفادة منها ، فضلا على أنه يحتوى على عنصرين يبنى بهما النبات مركباته(١) .

والضوء والحرارة المناسبة تمد النبات بالطاقة اللازمة لنشاطه وحيويته وإجراء التفاعلات الكيميائية بخلاياه فضلا عن كونها عاملا لتحديد ميقات نمو أو إثمار كل نوع من النباتات على مدار فصول السنة وذلك وفقا للنظام الذى شرعته المشيئة الإلهية .

والهواء يحتوى على عناصر تدخل فى تركيب النبات كالأكسجين والكربون والنتروجين .

إذا كانت هذه هى العوامل اللازمة لإحياء الأرض الميتة وإخراج النبات منها وفق النظام الذى شرعته مشيئة الله سبحانه وتعالى ، فماذا عن الموتى وإخراجهم من قبورهم يوم القيامة ؟

هذا هو ما سنحاول الإجابة عنه فى الصفحات القادمة ونقول مبدئيا إن الشبه كبير بين العمليتين ، فإحياء الموتى سيتم من خلال بذور متجرثمة فى تربة ذات مواصفات خاصة يرويها ماء يهطل من السماء لتنبت الأجساد كما ينبت البقل فى ظروف مناخية تتناسب مع هذا الإنبات .

---

(١) يتكون الماء من الأيدروجين والأوكسجين وهما من العناصر التى تدخل فى تركيب النبات .

الكتاب الحفيظ

من أسمائه الحسنى

أنه سبحانه وتعالى هو العليم والرقيب والحسيب والمحصى والمبدىء والمعيد .. وأخبرنا سبحانه وتعالى بأنه أحصى كل شيء .. قال تعالى : -

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴾[1]

﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾[2]

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[3] .

وأنه سبحانه أحصى أعمال الناس من خير أو شر ، قال تعالى :

﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[4]

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[5] .

وأنه سبحانه أحصى من فى السماوات والأرض ، قال تعالى :-

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾[6] .

---

(١) سورة النبأ ، الآية (٢٩) .
(٢) سورة الجن ، الآية (٢٨) .
(٣) سورة يس ، الآية (١٢) .
(٤) سورة الإسراء ، الآية (١٣/١٤) .
(٥) سورة ق ، الآية (١٨) .
(٦) سورة مريم ، الآية (٩٣ ــ ٩٥) .

والأجساد لها كتاب حفيظ : –

قال تعالى : –

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾(1) .

يتساءل الكافرون بالبعث المستبعدون لحدوثه متعجبين : أبعد أن تبلى أجسادنا وتستحيل ترابا تعود كما كانت ؟! إن ذلك لأمر محال بعيد الاحتمال ، فيجيبهم المولى القدير سبحانه وتعالى بأن علمه أحاط بكل شيء عن أبدانهم التى تلاشت فى التراب وأنه سبحانه وتعالى قد سجل صفاتهم وخواصهم فى كتاب حفيظ .

والكتاب بصفة عامة هو ما تكتب فيه كتابة .. والكتابة أداة لحفظ المعانى عن طريق تحويلها إلى رموز ثابتة تعبر عنها ، قد تكون هذه الرموز منحوتة فى أجسام صلبة كالصخور والمعادن والأخشاب أو تكون مرسومة على رقاع أو أوراق أو مسجلة على اسطوانات أو شرائط ممغنطة أو بأى كيفية أخرى .. فالكتاب ليس له شكل معين يستدل به عليه وإنما وظيفته أو الغرض منه هو تحويل المعانى إلى رموز وفق نظام معين بهدف حفظها من الضياع .. وإذا جاز على الإنسان أنه يخشى على أفكاره من النسيان فيسارع بكتابتها وتسجيلها فإن الله سبحانه وتعالى لا ينسى وإنما هى مشيئته فى أن ينظم ملكه وأن يبدع فيه ما يشاء فجعل كتباً وكراما كاتبين وهو أعلم بكل شيء ومستغن بنفسه عن كل شيء .

والله سبحانه وتعالى يصف الكتاب الذى يسجل خواص الأبدان وصفاتها بأنه حفيظ . وهى صيغة مبالغة ، لحفظ أى الذى يقوم بالحفظ ... أى أن هذا الكتاب شديد الحفظ لما اختص بتسجيله فهو لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من خواص الإنسان إلا أحصاها .

(1) سورة ق ، الآية (1 – 4) .

عجب الذنب وحبة الخردل

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « .. ليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظما واحداً : هو عَجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة »[١] .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « يأكل التراب كل شىء من الإنسان إلا عجب الذنب قيل وماهو يارسول الله ؟ قال : مثل حبة خردل منه تنشأون »[٢] .

والخردل حبة صغيرة يضرب بها المثل لبيان دقة الحجم ، قال تعالى :

﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[٣] .

ويفيد حديث النبى ﷺ أن جسد الإنسان يتحلل كله بعد موته إلى عناصره الأولى فيما عدا جزءاً ضئيلاً للغاية يوجد بعجب الذنب وهو نهاية العمود الفقرى حيث يبقى هذا الجزء الضئيل دون أن يناله تلف أو فساد إلى يوم القيامة ليبدأ به بنيان الجسد من جديد ليكون كما كان .

وإذا تأملنا فى موقع عجب الذنب من العمود الفقرى نجده يحتل الطرف المقابل للمخ ويربط بينهما الحبل الشوكى . فكأن مقر قيادة الجسد ينتقل عند موت الإنسان من أعلى العمود الفقرى حيث المخ إلى أسفله حيث عجب الذنب الذى تكمن فيه صفات الإنسان .

---

(١) رواه الشيخان واللفظ لمسلم . (٢) أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم .
(٣) سورة الأنبياء الآية (٤٧) .

وإذا كان القرآن الكريم ينبئنا بأن الله سبحانه وتعالى قد سجل الأجساد وخواصها فى كتاب حفيظ لايدع منها شاردة ولاواردة وإذا كان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يخبرنا بأنه لايبقى من جسد ابن آدم بعد موته إلا جزء بالغ الضآلة يوجد بعجب الذنب ، فتعالوا بنا نلق الضوء على ماأسفرت عنه البحوث والدراسات العملية فى مجال علم تشريح الإنسان والخلية الحية والكيمياء العضوية لعلها تفيد بشىء عن ذلك الكتاب الحفيظ وتلك الحبة الصغيرة التى بعجب الذنب .

تركيب الجسد

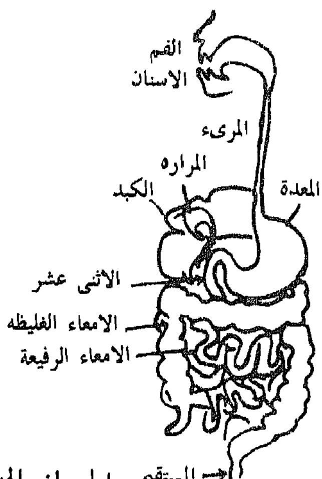
يتركب جسد الإنسان من عدد من الأجهزة المختلفة يقوم كل منها بوظيفة حيوية فى سبيل بقاء الإنسان على قيد الحياة كالجهاز الهضمى ووظيفته مد الجسد بالغذاء اللازم لنموه واستمرار نشاطه ، والجهاز التنفسى ووظيفته مد الجسد بالأكسجين والتخلص من الغازات الضارة ، والجهاز التناسلى للتكاثر والمحافظة على النوع .. وهكذا .

الأعضاء :ـ

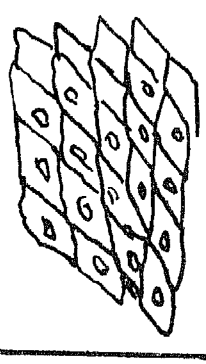
وكل جهاز من هذه الأجهزة يتركب بدوره من عدة أجزاء تسمى الأعضاء يقوم كل منها بأداء عمل خاص ، ففى الجهاز الهضمى مثلا توجد الأسنان لقضم الطعام وطحنه ، واللسان لتذوق الطعام ، ثم تحريكه وأثناء المضغ ، والمعدة كمستودع حتى تقوم بهضمه وهلم جرا .

الأنسجه :ـ

وكل عضو يتركب بدوره من عدد من الأنسجة المختلفة ، فالمعدة مثلاً تحتوى على نسيج يفرز عصارة هاضمة ويسمى النسيج الغدى ، وعلى نسيج آخر أن يحرك جدران المعدة لتحريك الغذاء ومزجه بالعصارة الهاضمة ويعرف بالنسيج العضلى وهكذا ، وهذه الأنسجة يختلف بعضها عن بعض فى التركيب لتتفق والعمل الذى تقوم بأدائه .



الجهاز الهضمى



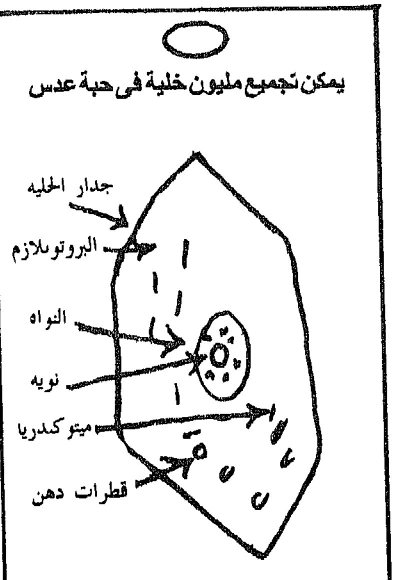
نسيج عضلى

الخلايا :ـ

وإذا فحصنا هذه الأنسجة فحصاً دقيقاً بالمجهر يتبين أن كلاً منها يتركب من وحدات غاية فى الصغر متراص بعضها بجوار بعض وقد اصطلح على تسمية هذه الوحدات « بالخلايا » وهى متماثلة شكلا وحجما وتركيبا فى النسيج الواحد ولكنها تختلف من حيث الشكل والحجم فى الأنسجة المختلفة .

فأساس تركيب كل كائن حى اذن هو الخلية ، ومثل الكائنات الحية فى ذلك كمثل مختلف الأبنية حيث إن أساس كل بناء هو قالب الطوب سواء كان البناء كوخاً بسيطا أو قصراً منيفا .

ويمكن تصور حجم الخلية إذا علمنا أنه فى الاستطاعة وضع مئات من الخلايا فى النقطة التى تعلو الحرف الهجائى أو تجميع مليون خلية داخل حبة عدس ، وأن مخ الإنسان يحتوى على نحو ١٢ ألف مليون خلية ، وأن متوسط عدد خلايا الإنسان البالغ نحو مائة مليون مليون خلية .



الخلية الحية وأجزائها

على أن الخلايا جميعها بالرغم من اختلافها فى الشكل والحجم والوظيفة تتحد فى أساس تركيبها ، فكل خلية تتكون من مادة حية تعرف بالمادة الأولية أو البروتو بلازم .

البروتوبلازم :ـ

والبروتوبلازم مادة عضوية غامضة ولسنا نعرف بالضبط طبيعة هذه المادة العجيبة ولكننا نعرف الكثير من خواصها الطبيعية والكيميائية ، فهى مادة هلامية عديمة اللون تشبه فى قوامها البيض النيىء ، وهى مادة تارة نصف سائلة ، وتارة نصف صلبة وهى شفافة أو نصف شفافة ، وقد تكون أحيانا معتمة لاحتوائها على حبيبات دقيقة ، وحالة

الصلابة والسيولة تتم فى البروتوبلازمة بسرعة عظيمة ، ويتم هذا التحويل باختلاف الخواص الطبيعية والكيميائية كتغير الحرارة أو امتصاص الماء أو ما إلى ذلك .

ولايذوب البروتوبلازم فى الماء ، وتؤثر الحرارة على المادة الحية فتجمدها عند درجة ٥٥م° تقريبا . ولايموت البروتوبلازم بفعل البرودة إلا إذا انخفضت درجة حرارته إلى عشرات الدرجات تحت الصفر المئوى .

وتحتوى البروتوبلازمة على أكثر من ٧٥٪ من وزنها ماء يوجد فيه خليط معقد من المواد البروتينية والكربوهيدراتية والدهنية والأملاح غير العضوية والأنزيمات التى تساعد على إتمام التفاعلات الحيوية ، ومواد معقدة أخرى .

البروتينات والأحماض الأمينية :ـ

تعد المواد البروتينية المادة الأساسية بعد الماء التى تتركب منها الخلية الحية ، حيث إنها تكون أكثر من نصف المواد الصلبة فى جسم الإنسان .

وتتركب المواد البروتينية كأى مادة من أجزاء صغيرة « جزيئات » وجزىء البروتين الواحد يتركب بدوره من جزيئات أصغر تسمى بالأحماض الأمينية التى تدخل فى تكوينها ذرات الأكسجين والكربون والنتروجين والأيدروجين .

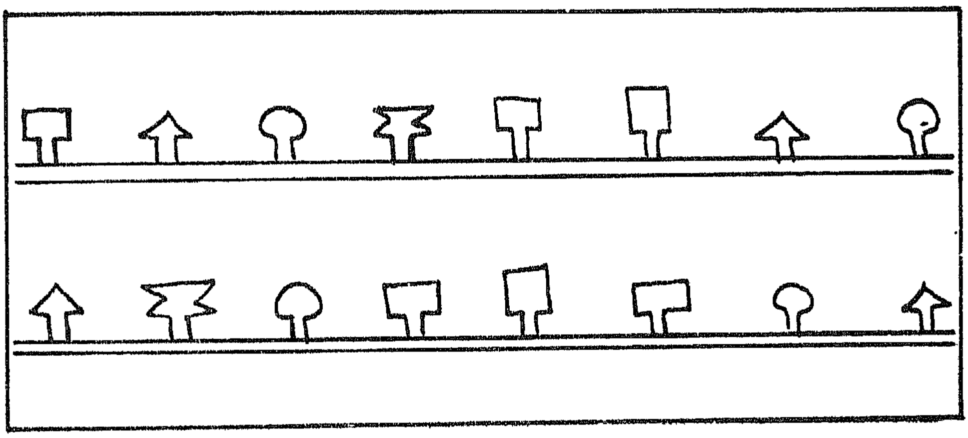
وعلى الرغم من أنه توجد فى الطبيعة أنواع كثيرة من الأحماض الأمينية تزيد على مائة وخمسين نوعاً ، إلا أن الشىء الذى يدهش العلماء المتخصصين فى هذا المجال هو أن هناك عشرين نوعاً فقط من هذه الأحماض تستخدم فى خلق البروتينات . والأعجب أن مجموعة العشرين حمضاً هذه لا تكون بروتينات الإنسان فحسب وإنما يتكون منها أيضاً بروتينات جميع الحيوانات والنباتات والكائنات الحية الدقيقة والفيروسات على حد سواء .

وتتراص جزيئات هذه الأحماض فى سلاسل طويلة لتكون جزيئات البروتينات .

وتشبه الأحماض الأمينية حروف اللغة فى حين تشبه السلاسل البروتينية المتكونة منها الكلمات أو الجمل . فكما نستطيع أن نكون أعداداً هائلة من الكلمات والجمل

من عدد محدود جداً من الأحرف فإننا نستطيع أن نكون آلافاً مؤلفة من هذه السلاسل البروتينية باتحاد الأحماض الأمينية العشرين أو بعض منها بمجرد التغيير فى ترتيب وحدات هذه الأحماض على طول السلسلة البروتينية .

وهذا التنوع فى ترتيب وحدات الأحماض الأمينية على طول السلسلة البروتينية يعطى أعداداً هائلة من أنواع البروتينات التى يختلف كل منها عن الآخرين فى خواصه ونشاطه . ويقوم كل نوع من الخلايا بتصنيع البروتينات الخاصة به بما يتفق والغرض المطلوب منها فنجد أن بروتينات القلب مثلا تختلف عن بروتينات الكلية . هذا فضلاً على أنه لايوجد اثنان من البشر أو غير البشر من الكائنات الحية يتفقان أو يتشابهان فى تصميم البروتينات الخاصة بكل منهما وإنما لكل كائن حى تصميم خاص لبروتيناته لايتكرر فى أى كائن آخر تماما كبصمات الأصابع ولهذا السبب غالباً ماتفشل عمليات زراعة الأعضاء الحية حيث يتعرف الجسم على العضو الغريب المزروع فيه من خلال التركيب الكيميائى لبروتيناته ويقوم بمحاربته ولفظه بعد فترة من الزمان[1] . فلكل خلية بروتيناتها ولكل كائن حى تراكيبه الخاصة به .



اعلى : مثال لجزىء بروتينى يتكون من ثمانى وحدات من الأحماض الأمينية وأسفل مثال لجزىء بروتينى آخر يتكون من ذات الأحماض الأمينية ولكن بترتيب آخر ، وتمثل الأشكال الهندسية رموزاً لوحدات الأحماض الأمينية .

(١) وللتغلب على مقاومة الجسم للعضو الغريب يستخدم الجراحون مواد تساعد على إحباط هذه المقاومة

النـواة :-

وفى داخل الخلية الحية توجد نواة يحيط بها غلاف رقيق يتميز بقدرته على انتقاء مايسمح بمروره إلى الداخل أو الخارج من جزيئات المواد والغازات ، وتعتبر النواة بمثابة المركز الواعى المنظم للتفاعلات الحيوية فى الخلية .

وتحتوى النواة على أجسام غاية فى الدقة غريبة فى الشكل تعرف بالصبغيات « الكروزومات » لأنها لاترى تحت المجهر إلا بتلوينها بصبغة خاصة - عددها ثابت فى كل نوع من أنواع الكائنات الحية فهى فى الإنسان ستة وأربعون وفى الكلب ثمانية وسبعون وفى الدجاجة المنزلية ثمانية عشر وفى نبات الورد أربعة عشر [أنظر الجدول]

اسم الكائن	عدد الكروزومات	اسم الكائن	عدد الكروزومات
الإنسان	٤٦	البسلة	١٤
الأرنب	٤٤	البطاطس	٤٨
ذبابة الفاكهة	٨	الذرة	٢٠
ملكة النحل	٣٢	الألوديا	٢٤
الفول	١٢	الفأر	٣٨
الحصان	٦٠	الخنزير	٣٨
الضفدعة	٢٦	التبغ	٤٨
الزنبقة	٢٤	الغوريلاً	٤٦
الكلب	٧٨	الشمبنزى	٤٦
الدجاجة المنزلية	١٨	الورد	١٤

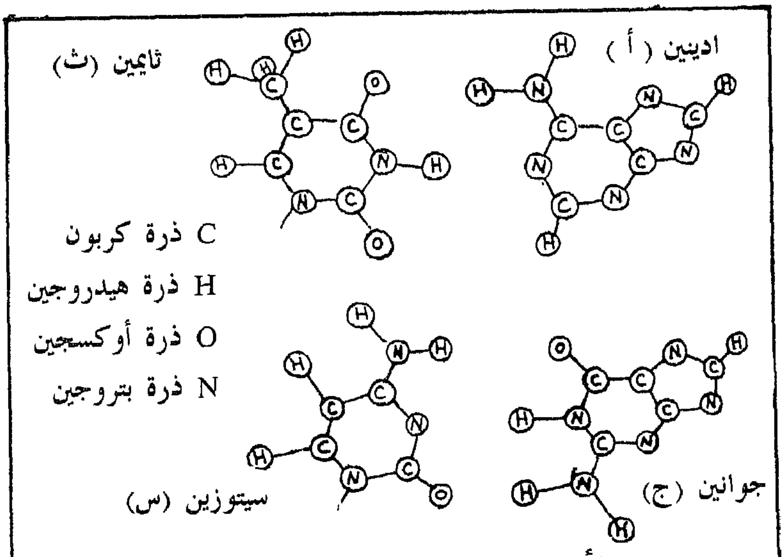
السجلات الإلهية :-

ويوجد بكل كروموزوم جسيمات غاية فى الصغر والدقة تسمى بالناسلات أو الجينات يبلغ عددها بالكروموزوم الواحد ٤٠ ألف ناسلة أو جينة وهى تتراص فى شريط حلزونى مزدوج متصل الأجزاء .

وذلك الشريط العجيب والذى يعرف اختصاراً بجزىء د.ن.أ ، أو DNA لايغادر صغيرة ولاكبيرة من صفات جسد الإنسان . إلا أحصاها حيث تختص كل ناسلة (جينة) فيه بتسجيل صفة من صفات الجسد الإنساني فهو سجل يحتوى على الوصف الكامل المفصل لتصميم كل الجزيئات البروتينية وكل الخلايا والأنسجة والأعضاء والأجهزة وحتى كل شعرة وكل قلامة ظفر وكل بصقة بجسد الإنسان ، وذلك بلغة حية عجيبة تبارك من أبدعها ونظم قواعدها وأبجديتها وكلماتها .

لغة الحياة :ـ

فإذا كانت البروتينات يتم بناؤها باستخدام عشرين نوعاً من الأحماض الأمينية فإن التعبير عن هذه الأحماض بالشريط الحاوى لجميع تصميمات الجسد يكون عن طريق استخدام أربعة حروف لم ترسم أشكالها بالحروف وإنما تحددت معالمها بالذرات ، فكل حرف منها يتكون من توليفة من ذرات عناصر الكربون والأكسجين والهيدروجين والنتروجين ارتبطت بنسب معينة وأشكال خاصة لتعطى الحرف رمزه المميز (انظر الشكل) وتعرف هذه الحروف فى علم الكيمياء الحيوية بالقواعد أو الأحماض النووية .. واصطلح على تسميتها بالأدينين والثايمين والجوانين والسيتوزين أو باختصار أ ، ث ، ج ، س



الحروف الأربعة مركبات كيميائية حددت معالمها الذرات

ولكل حمض أمينى من الأحماض العشرين التى تتركب منها البروتينات رمز يتألف من ثلاثة أحرف من هذه الحروف الأربعة .

ونظراً إلى أنه يمكن حسابياً تكوين أربعة وستين كلمة باستخدام أبجدية مكونة من أربعة حروف [أى $(٤)^{٣}$] وهو مايزيد على عدد الأحماض الأمينية العشرين المطلوب التعبير عنها فإنه يوجد لبعض أنواع هذه الأحماض أكثر من رمز يستخدم للتعبير عنها فى الشريط الحاوى للتصميمات ، كما توجد رموز تستخدم كفصلة تعبر عن انتهاء تكوين جزىء بروتينى وابتداء جزىء بروتينى آخر .

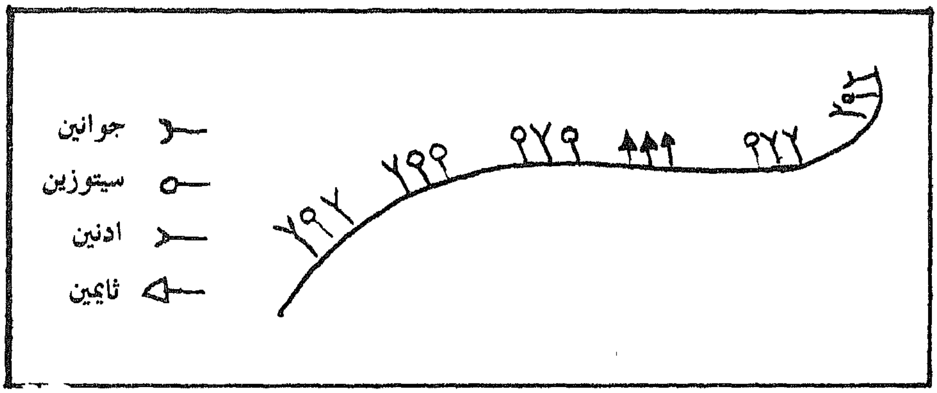
اسم الحمض	الشفرة الثلاثية التى تعبر عنه	اسم الحمض	الشفرة الثلاثية التى تعبر عنه
ارجنين	أ ج أ ، أ ج ج	جلوتامين	س أ أ ، س أ ج
اسباراتيك	أ أ ث ، أ أ س	جلوتاميك	جُ أ أ ، ج أ ج
اسباراجين	أ أ ث ، أ أ س	سيرين	س ج ث ، أ ج س
الانين	أس ى، أس س، ج س أ، ج س ج	سيستين	ث ج ث ، ث ج س
ايزوليسين	أ ث ى ، أ ث س ، أ ث أ	فالينين	أ ث ث، أ ث س، ج ث أ، ج ث ج
برولانين	س س س، س س ى، س س ج، س س أ	فينايل الانين	ث ث ث ، ث ت س
تربتوفين	ث ج ج	لايسين	أ أ أ ، أ أ ح
يتروسين	ث أ ث ، ث أ س	ليوسين	ث ث أ، ث ث ج، ت ث ى، س ث س
ثرايونين	س س س، أ س أ، أ س ج، أ س ث	ميثايونين	أ ث ج
جلايستين	أ ج ى، أ ج س، ج جِ أ، ج ج ج	هستين	ث أ ى ، س أ س

وتفيد كل من : ث أ أ ، ث أ ج ، ث ج أ معنى النقطة أو الفصلة التى تشير الى انتهاء جزىء بروتينى وابتداء جزىء آخر .

● أعلى : جدول الشفرة الوراثية الذى يربط لغة الأحماض النووية ذات الحروف الأربعة بلغة البروتينات ذات الحروف العشرين ويلاحظ أن (أ) تعنى ادينين ، (ث)

يعنى ثايمين ، (ج) يعنى جوانين ، (س) يعنى سيتوزين وقد حرصت على أن أورد هذه الشفرة كاملة ضمن الكتابَ حتى يدرك القارىء مدى الدقة البالغة لهذه اللغة الحية العجيبة .

وتتراص حروف الأبجدية الرباعية الأديمين والثايمين والجوانين والسيتوزين على امتداد الشريط د.ن.أ الحاوى للتصميمات لتعبر كل ثلاثة حروف متجاورة منها عن حمض أمينى معين بينما يعبر مجموع الحروف مابين فصلتين عن تركيب جزىء بروتينى مكون من الأحماض الأمينية .

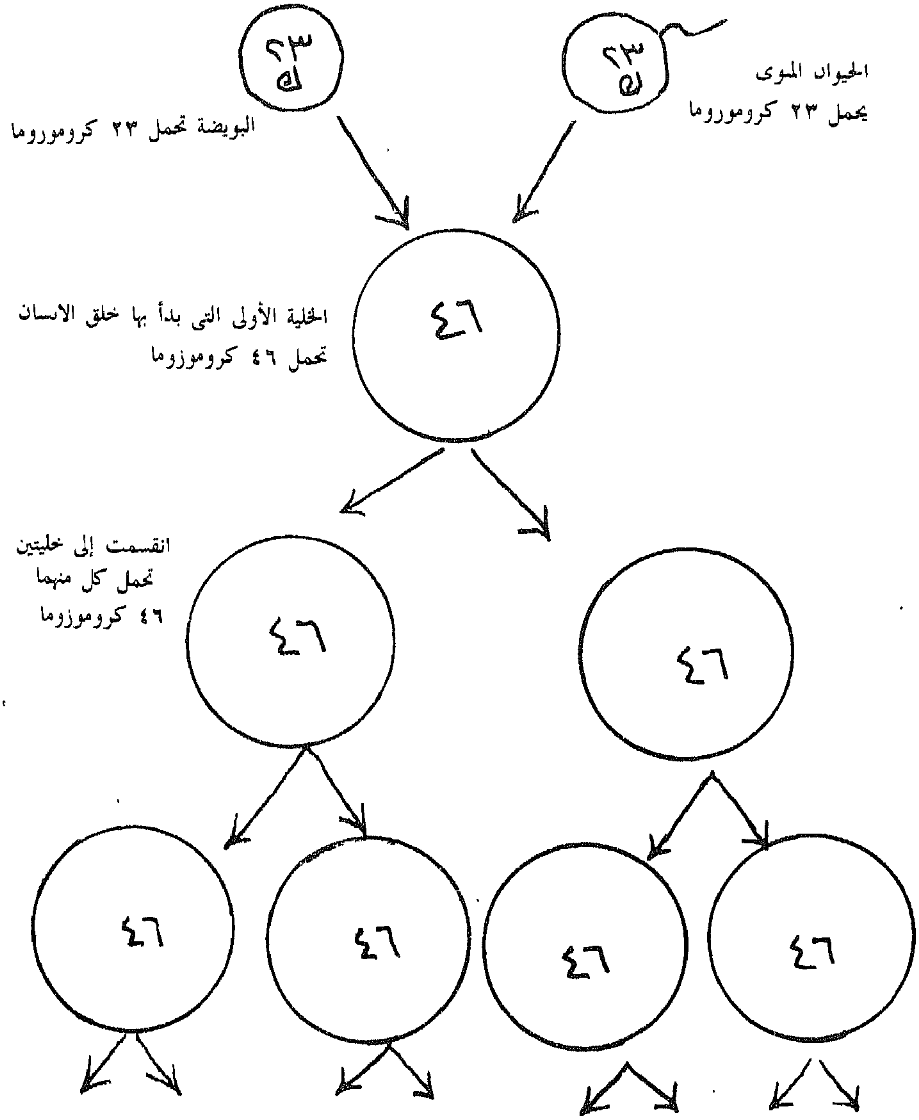


هذا ويحتوى كل كروموزوم على شريط واحد من د.ن.أ ولكنه يحزم بطريقة محكمة للغاية تدعو إلى الدهشة والإعجاب بحيث يشغل حيزاً أقل بعشرة آلاف مرة من طوله المنبسط . فالكروزومات أجسام ضئيلة للغاية مع أنها تحتوى على كل التفاصيل الدقيقة للإنسان . ولو جمعت كل الكروزومات من أجساد البشر جميعاً ووضعت فى مكان واحد لما شغلت حيزاً يزيد على عقلة الصباع !!

ويظل شريط د.ن.أ الحاوى على تصميمات الجسد محفوظاً داخل نواة الخلية لايغادرها ويتم تنفيذ ماينطوى عليه من معلومات إلى بروتينات حقيقية وفقا للخطة المكتوبة به عن طريق نسخ معلوماته على شريط مماثل يستخدم نفس أبجديته مع استبدال حرف منها (الثايمين) بحرف آخر (يوراسل) ويخرج الشريط المنسوخ من جدار النواة إلى ساحة السيتوبلازم بالخلية وهناك تجرى ترجمة معلوماته إلى أحماض أمينية .

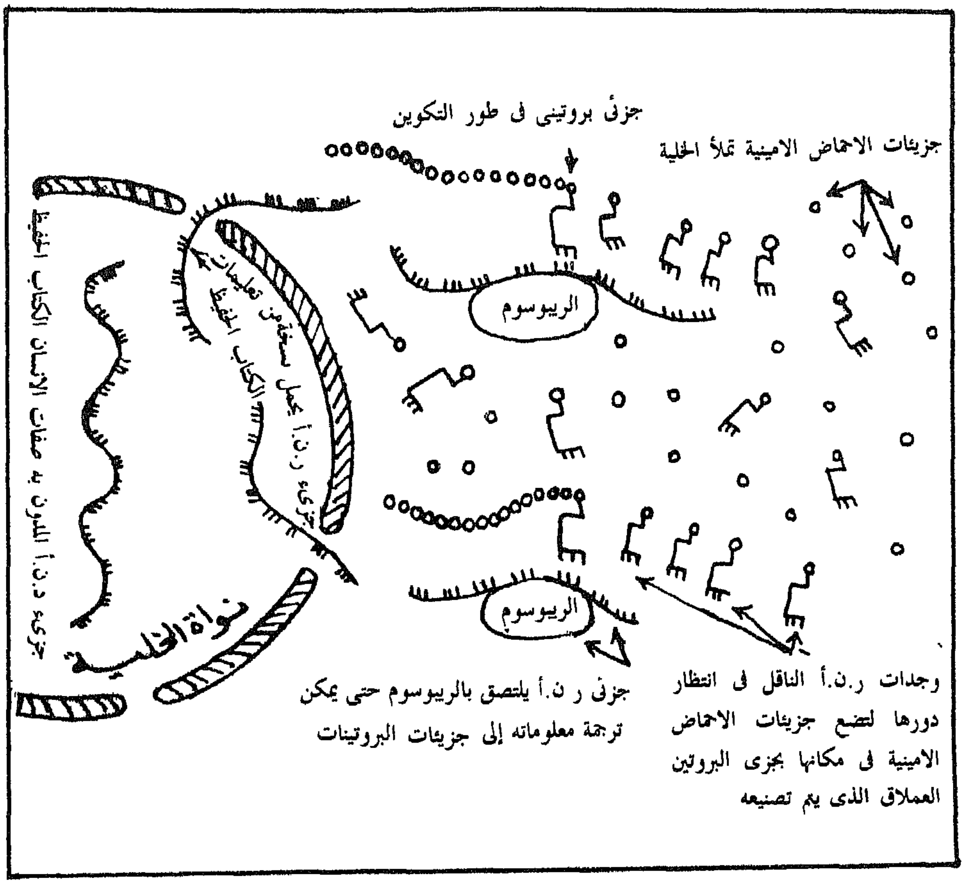
الإنسان يبدأ بخلية واحدة

يقدر **متوسط عدد** خلايا الإنسان البالغ بحوالى مائة مليون مليون خلية (١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) وهذا العدد الهائل من الخلايا تولد كله من خلية واحدة



وكل خلية انقسمت بدورها إلى خليتين يحمل كل منهما ٤٦ كروموزوما وهكذا .

بدأ بها خلق الإنسان ، هذه الخلية تكونت فى الأصل من إندماج خليتين واحدة من الأب (الحيوان المنوى) والثانية من الأم (البويضة) كان بكل واحدة منهما ثلاثة وعشرون كروموزوما ، وبذلك يكون قد اجتمع لهذه الخلية العدد الكامل للكروموزومات الموجودة بخلايا الإنسان أى ٤٦ كروموزوما ثم انقسمت هذه الخلية إلى خليتين تحمل كل واحدة منهما نفس العدد من الكروموزومات وبروتينات حقيقية عن طريق مطابع إلهية (الريبوسوم) وبمساعدة جسيمات ذكية (د.ن.ر . الناقل) تقرأ الرموز بالشريط المنسوخ وتستبدل به الأحماض الأمينية المقابلة لها وتضعها فى المكان المرسوم لها بالخطة المكتوبة فتبارك من صور وقدر وأبدع وتعالى عما يصفون علوا كبيرا .



الشكل : عملية تخليق البروتينات فى الخلية الحية التى يشارك فيها د.ن.أ (الكتاب الحفيظ) ، ر.ن.أ الذى يحمل نسخة من بعض توجيهات الكتاب الحفيظ ، الريبوسوم

الذى تتم فيه عملية تخليق البروتين طبقا للخطة الموضوعة ، ر.ن.أ الناقل الذى يقوم بنقل جزيئات الأحماض الأمينية ويضعها بمكانها فى جزىء البروتين العملاق حسب الخطة الموضوعة . أى ٤٦ كروموزوماً وهاتان الخليتان بدورهما تنقسمان لتعطيا أربع خلايا ، وتنقسم الأربع لتعطى ثمانى من الخلايا وهكذا إلى آخر هذه المتوالية الهندسية وفى كل مرة يحدث فيها انشطار تحمل الخلايا المتولدة نفس العدد من الكروموزومات أى ٤٦ كروموزوما وهى الجسيمات الصغيرة التى تحتوى على الجينات والشرائط د.ن.أ المكتوب فيها صفات الإنسان وخواصه .

ومع ان كل خلية تحمل فى نواتها نسخة كاملة من كتاب التصميمات إلا أن الخلايا لاتتشابه فيما تؤديه من أعمال فوظيفة خلايا الكبد مثلاً تختلف عن وظيفة خلايا القلب وخلايا البنكرياس لاتستطيع أن تفرز العصارات الهاضمة التى تفرزها خلايا الأمعاء ، وخلايا الأمعاء لاتفرز الأنسولين الهاضم للسكر الذى تفرزه خلايا البنكرياس ، وخلايا العضلات عاجزة عن التفكير ، بينما خلايا المخ المفكرة لاتقدر على الحركة والانقباض والانبساط الذى تؤديه خلايا العضلات بسهولة تامة ، وخلايا شبكية العين لاتقدر على سماع الأصوات فى حين أن الخلايا التى تستقبل الأصوات بالأذن لاتبصر المرئيات ، وهكذا نجد مع أنه يوجد بنواة كل خلية نسخة كاملة من الكتاب الحاوى للتصميمات إلا أن كل خلية تقوم بتنفيذ مايخصها فقط مما هو مدون بهذا الكتاب .

نسخ الجسد بنواة خلية واحدة منه

من المهم أن نعلم أن نواة واحدة لأى خلية من خلايا الإنسان إذا تهيأت لها الظروف الملائمة يمكن أن تكون نسخة طبق الأصل من الجسد الذى أخذت منه هذه النواة .

ولقد أجريت تجربة علمية فى هذا الصدد على أنثى ضفدعة الطين كانت خطواتها العملية كما يلى[١] :—

(١) قام باجراء التحربة الدكتور جون جوردن Dr Gordon بانجلترا — المصدر مقال هندسة الوراثة لزهير الكومى — مجلة العربى العدد ٢٤٣ / ١٩٧٩م

١ – تم إحضار بويضة غير مخصبة لهذه الضفدعة وأجريت عليها جراحة دقيقة لنزع نواتها التى تحتوى على نصف عدد الكروموزومات لكونها غير محصبة[١] .

٢ – تم استخلاص نواة خلية كاملة من خلايا أمعاء ذات الضفدعة تحتوى على العدد الكامل للكروموزومات وتمت زراعتها بالبويضة بدلا من نواتها الأصلية غير المخصبة .

٣ – وهكذا أصبحت البويضة كأنما قد تم إخصابها حيث صار بها نواة تحتوى على العدد الكامل للكروموزومات .

٤ – بدأت البويضة بعد هذه العملية فى الانقسام لتكون جنينا .

٥ – ثم فقست البيضة بعد أطوار النمو المعتادة لتخرج منها ضفدعة طين أنثى هى صورة طبق الأصل من الأم صاحبة البويضة فى كل صفاتها وخصائصها حيث إن الصفات الوراثية واحدة بسبب كونها مأخوذة من خلية أمعاء تلك الأنثى صاحبة البويضة[٢] .

وتتجه النية حاليا لتطبيق هذه التجربة على الإنسان بغية الحصول على نسخ مكررة طبق الأصل من العباقرة والنابغين وذلك بزراعة نواة خلية واحدة من خلايا النابغة العادية فى بويضة أنثى فتعطى بعد انقسامها وليداً طبق الأصل من النابغة الذى أخذت منه النواة .

ولنا فى هذه التجربة عدة ملاحظات تجدر الإشارة إليها :–

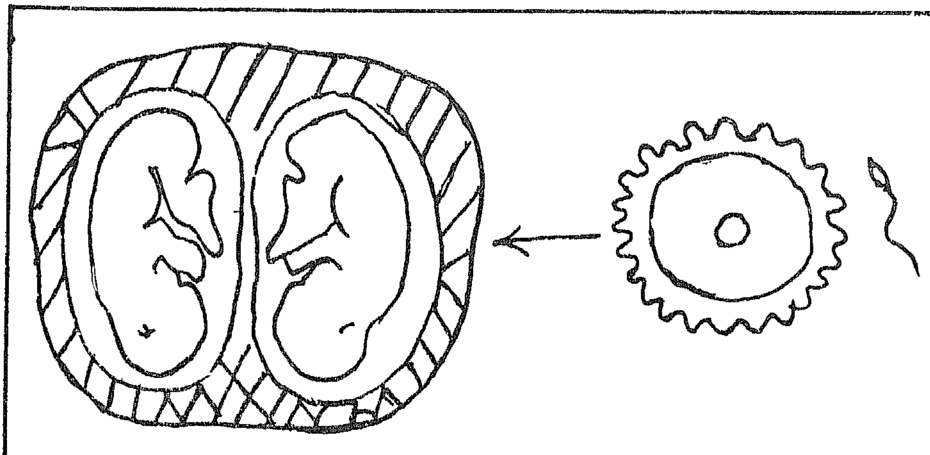
أولاً :– أن الانسان روح وجسد ، والحصول على وليد يماثل والده (ذكراً كان أو أنثى) تمام المماثلة وفقا لهذه الطريقة يعد تكراراً للجسد وليس للروح .. ومثال ذلك : البويضة التى تنقسم بعد إخصابها بحيوان منوى واحد لتعطى توأمين يعد كل واحد منهما صورة طبق الأصل من شقيقه التوأم .. ولكن لانستطيع القول بأن للتوأم

---

(١) تحتوى نواة خلية ضفدعة الطين الكاملة على ٢٦ كروموزوما فى حين تحتوى كل من نواة البويضة والحيوان المنوى على ١٣ كروموزوما وعند الاخصاب تتحد القوتين لتكونان خلية واحدة تحتوى على ٢٦ كروموزوما

(٢) يمكن تعليل ما حدث فى التجربة بأن فى مادة البويضة الحية انزيمات أو هورمونات كيمائية عضوية تحث الكروزومات على الانقسام وتمحو تخصصها فى الخلايا الجسمية المختلفة فتعود النواة وكأنها نواة جنين حديث التكوين – وهكذا تبدأ الانقسام ولديها الأوامر المحددة لانشاء جنين جديد (راجع مقال الهندسة الوراثية السابق الاشارة اليه) .

روحاً واحدة .. بل إن لكل واحد منهما روحه الخاصة به ويمكن أن يكون أحدهما صالحاً دمث الخلق عفيف النفس والآخر من المفسدين فى الأرض كما دلت على ذلك التجارب والملاحظات العملية على التوائم المثلية .



الشكل : التوائم المثلية تنتج من بويضة واحدة وحيوان منوى واحد

ثانيا :ـ إن الوليد الذى يماثل والده تمام المماثلة وفقا لهذه التجربة يولد بذاكرة بيضاء مجردة من الذكريات والتجارب التى مر بها والده .. وذلك على عكس الحال يوم القيامة حيث تعود للناس أجسادهم بذاكرة تعى تماماً مامر بها من أحداث فى الحياة الدنيا .

ثالثاً : ورب قائل : إنه إذا كان من الممكن لأى سيدة أن تلد بدون أن يمسها بشر (إخصاب ذاتى) باتباع خطوات التجربة المذكورة فما فيمة ولادة الصديقة مريم العذراء للسيد المسيح عليهما السلام دون أن يمسها بشر كمعجزة خارقة لايقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى ؟!

ونجيب بأن المرأة التى تخصب طبقا للتجربة المشار إليها بنواة خلية من خلايا جسدها إنما تضع مولودة أنثى مشابهة لها تمام المشابهة ، بينما السيدة مريم العذراء وضعت مولوداً ذكراً لايشبهها تمام المشابهة فضلاً عن أنه كلم الناس فى المهد مما يدل على أن الأمر إنما كان معجزة خارقة لايقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى
عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ
قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[1]

الجسد صورة ثابتة وعملة متداولة

رأينا كيف أن لكل جسد إنسانى صفات وخواص تميزه عن غيره من الأجساد مدونة فى سجلات دقيقة فى تفاصيلها وأحجامها محفوظة بنواة كل خلية . وهذه الصفات ثابتة لاتتغير منذ اللحظة التى بدأ فيها خلق الإنسان من خلية واحدة وحتى يتوفاه الله بالموت وإن كانت المادة التى يتركب منها خلق الإنسان تتغير بصفة مستمرة بقدر ما يأكل الإنسان من طعام ويشرب من ماء ويتنفس من هواء ويخرج من براز وبول وعرق وشعر وأظافر وقشور ، ففى كل يوم يموت بالجسد ٥٠ مليون خلية لتحل محلها فى ذات الوقت ٥٠ مليون خلية أخرى جديدة بنفس الصفات والخواص وذلك مما يأكله ويشربه ويتنفسه الإنسان ، بينما يتخلص من أنقاض الخلايا الميتة فى صورة فضلات تدخل مرة أخرى فى أجساد آخرين بعد أن تتحول إلى مأكولات شهية من خلال النباتات . أى أنه لاتوجد كمية من المادة تخص كل إنسان بعينه وإنما المادة عملة متداولة بين الأجساد .. تخرج من هذا الجسد لتدخل فى جسد آخر ولكنها فى كل جسد تتشكل بصورته وتلتزم بصفاته الثابتة المحفوظة بنوى خلاياه .

عودة إلى الكتاب الحفيظ وحبة الخردل

إذا كان القرآن الكريم ينبئنا بأن الله سبحانه وتعالى قد سجل الأجساد فى كتاب حفيظ ..

---

(١) سورة مريم الآية (٢٩ ــ ٣٤) .

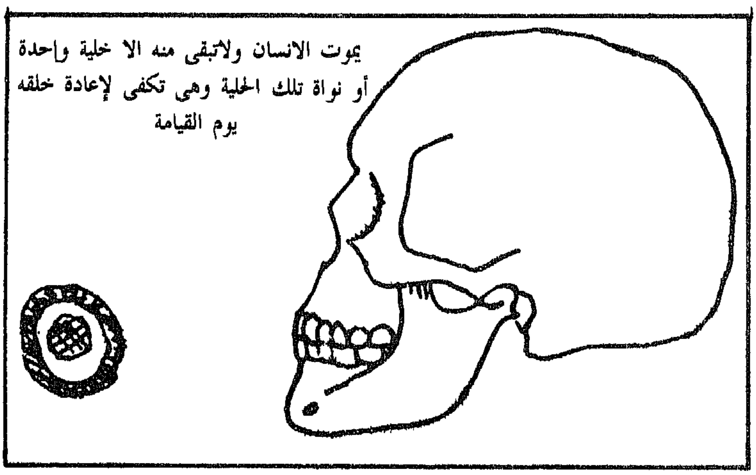
.. وإذا كان النبى ﷺ يخبرنا بأنه لايبقى من الجسد إلا جزء متناهى الضآلة كحبة الخردل منه تبدأ النشأة الأخرى ..

.. وإذا علمنا أن بنواة كل خلية من خلايا الإنسان جسيمات بالغة الضآلة (الكروموزومات) بها شرائط حلزونية أشد منها ضآلة مسجل عليها كل كبيرة وصغيرة من صفات الخلايا والأنسجة والأعضاء والأجهزة بجسد الإنسان .

.. وإذا علمنا أنه يمكن بنواة خلية واحدة الحصول على نسخة مكررة من جسد الإنسان الذى أخذت منه هذه النواة ..

.. إذا علمنا ذلك كله بات من السهل علينا أن نستنبط نتيجة مؤداها أن حبة الخردل التى أشار إليها النبى ﷺ هى خلية واحدة من خلايا الإنسان أو نواة هذه الخلية .. وأن الكتاب الحفيظ الذى ذكرته الآية الكريمة يوجد بنواة تلك الخلية ممثلا فى تلك الجسيمات الضئيلة وخيوطها العجيبة المسجل عليها التفاصيل الكاملة للجسد[1] .

فالإنسان إذا مات تحللت كل خلايا جسده إلى عناصرها الأولى التى تتركب منها ولايبقى منها إلا خلية واحدة أو نواة تلك الخلية وهى تكفى لإعادة خلق الإنسان والله سبحانه وتعالى كفيل بحفظ هذه الخلية أو نواتها إلى يوم القيامة دون أن ينال منها تلف أو فساد .



(١) هذا فضلا على أن الله سبحانه وتعالى عنده أم الكتاب أو اللوح المحفوظ مصدقا لقوله تعالى : « يمح الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » . « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء »

الخلية الساكنة

إن هذه الخلية أو النواة المتبقية من جسد الإنسان الفانى لن تعود كما كانت وقت أن كان الجسد كله ينبض بالحياة تتغذى وتتنفس وتخرج وتتكاثر وتنتج الخمائر والبروتينات .: وإنما تنتقل إلى حالة من السكون التام لتتجمد فيها كل الأنشطة وتختفى معها كل مظاهر الحياة .. وتفقد كل مابها من ماء (حوالى ٧٥٪ من وزن الخلية ماء) لتنكمش فى أضيق نطاق ويتضاءل جرمها أضعاف ماهى عليه من ضآلة فى الوقت الذى تزداد فيه تماسكا وصلابة فضلاً عما تفرزه حول نفسها من غلاف شديد الصلابة حتى لكأنها الفولاذ أو أشد بأساً .

كتاب تحفظه عناية الله

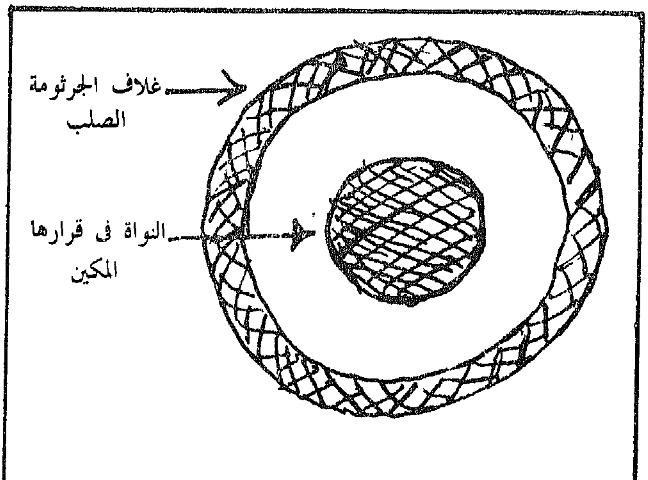
وعلى الرغم من حالة السكون والجفاف والانكماش التى تنتاب تلك الخلية المتجرثمة إلا أن الكتاب الحفيظ الموجود بنوانها لايناله تلف ولايطمس فيه حرف واحد حتى ولو ألقى به فى نار حامية ، أو مادة كاوية ، أو غمس فى حديد مصهور ، أو بركان مسعور ، أو غير ذلك من مسببات الهلاك والدمار .. وإنما تحفظه عناية الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء .. فهو سبحانه شرع النواميس ، ووضع النظم ، وأعطى للأشياء خواصها وطبائعها .. هو النافع والضار لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه .

ولنتذكر كيف أنه سبحانه وتعالى جعل النار الحارقة التى تتلف الأبدان والأنسجة ؛ برداً وسلاماً على إبراهيم .. ولنتذكر قوله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾[١]

---

(١) سورة الأسراء ــ الآية (٥٠ ــ ٥١)



شكل « تنكمش الخلية الآدمية المتجرثمة فى أضيق نطاق وتفرز حول نفسها غلافاً سميكا شديد الصلابة تظل ساكنة فيه إلى يوم الدين »

وقد يتساءل البعض هل الله سبحانه وتعالى فى حاجة إلى حفظ الجراثيم الآدمية لتعيد الأجساد يوم القيامة .. وهو القادر على إعادتها من العدم كن فيكون ؟!

ونجيب بأن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، ولكن شاءت إرادته العلية أن ينظم ملكه فشرع النواميس وسن النظم وقدر كل شيء تقديرا .. وماتلك النواميس والقوانين والنظم والتقدير إلا مظاهر لقدرته المطلقة على كل شيء فضلاً عن حكمته البالغة . .

والله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ويخرج النبات من حبة صغيرة لتصير رويداً رويداً شجرة كبيرة كثيفة الأغصان وارفة الظلال .. والإنسان يبدأ خلقه من نطفة ويرتقى فى الخلق ليخرج طفلا ضعيفا وبعد ثلاثين عاماً أو نحو ذلك يبلغ أشده .. وكان سبحانه وتعالى قادرًا على أن يوجد كل ذلك فى لحظات أو بغير زمان أو بدون أسباب ولكن تلك إرادته فخلق الزمان والمكان وأوجد الأسباب وجعل لكل شيء قدرا .. فالكون كله من أصغر ذرة فيه إلى أكبر مجرة يعج بالحركة والسعى الدائب تحكمه نواميس محكمة شرعتها قدرة الله المطلقة وحكمته البالغة .

وماحفظ الخلايا المتجرثمة لتعيد الأجساد إلى سيرتها الأولى يوم القيامة إلا مظهر لهذه القدرة المطلقة ولايقدر على ذلك إلا الله الحفيظ على كل شيء .

وإذا كان سبحانه وتعالى أخبرنا بأن لديه كتاباً حفيظاً لخواص الأبدان .. وإذا كان رسوله ﷺ أخبرنا بأنه لايبقى من الإنسان إلا موضع بعجب الذنب كحبة خردل منه ينبت الإنسان يوم القيامة كما ينبت البقل ، فلا مجال إذن للمجادلة فى هذا الشأن .

كما قد يتساءل البعض عما إذا كان من الممكن للإنسان رؤية تلك الخلايا المتجرثمة باستخدام المجاهر الالكترونية ؟!

ونجيب بأن لتلك المجاهر قدرات فائقة على تكبير الدقائق الضئيلة حتى أنه أمكن باستخدامها رؤية نواة الخلية والكروموزومات والشرائط المسجل عليها صفات الإنسان كما أمكن اقتطاع بعض الجينات الوراثية لبعض الكائنات الحية وزراعتها ضمن جينات كائنات حية أخرى حتى يمكن إكساب هذه الكائنات صفات وراثية جديدة وذلك فيما يعرف بعمليات الهندسة الوراثية[١]

وإذا أردنا أن نستخدم هذه المجاهر فى رؤية الخلية المجرثمة برفات الموتى فينبغى أن نأخذ فى الاعتبار أن هذه الخلية هى واحدة من مائة مليون مليون خلية (متوسط عدد خلايا الإنسان البالغ) وهذا العدد يمثل أكثر من عشرين ألف ضعف عدد سكان العالم حاليا[٢] . كما أن هذه الخلية ستفقد مظاهر الحياة من تنفس وتغذية وإخراج وتكاثر ، فضلاً عن أنها ستفقد كل الماء الذى بها ، وتنكمش فى أضيق نطاق ، وتحيط نفسها بغلاف جرثومى صلب مقاوم لكل التقلبات الخارجية المدمرة ولربما كان هذا الغلاف أشد صلابة من كل العناصر المعروفة للإنسان بصلابتها . لكل هذه الأسباب نرى أنه قد يكون من العسير على الإنسان أن يتعرف على تلك الجرثومة وأن يميز بينها وبين الجمادات الأخرى المماثلة فى الحجم حتى ولو أمكن له رؤيتها باستخدام تلك المجاهر الالكترونية أو غيرها

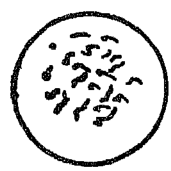
ولربما كانت هذه الجرثومة من الأشياء التى لاتخضع لقوانين الضوء ، حيث يمكن للضوء ولجميع أنواع الأشعة المرئية وغير المرئية اختراق مادتها وكأنما ليس لها وجود ،

---

(١) مثال ذلك اكساب بعض أنواع من بكتريا البحار صفة التهام المواد البترولية واكساب بكتريا الأمعاء صفة إفراز الأنسولين الهاضم للسكر .

(٢) باعتبار ان عدد سكان العالم خمسة آلاف مليون نسمة

أو كأنما هي فى برزخ إلى يوم يبعثون ، وهذا يعنى استحالة رؤيتها بأى منظار مهما كانت قوة تكبيرة على الإطلاق :



الشكل . قد يتعدر التمير بين الجرتومة الآدمية والجمادات الأخرى المماثلة فى الحجم حتى ولو امكن رؤيتها بأقوى المجاهر الالكترونية

وسواء وفق الإنسان فى العثور على هذه الجراثيم ،أو لم يوفق فإنه يستحيل عليه إعادتها إلى الحياة . ذلك ان إحياء الموتى لايكون الا باجتماع عوامل عديدة .. تلك العوامل لا توجد ولا تجتمع الا يوم الدين بقدرة الحى القيوم الذى إذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون .

هل الخلية المتجرثمة كائن حى أم جماد ميت ؟ :-

إذا كانت خلايا الجسد كلها تفنى وتتحلل إلى عناصرها الأولى فيما عدا الخلية المتجرثمة فإن هذا قد يدعو إلى تساؤل آخر وهو هل هذه الجرثومة كائن حى أم أنها جماد ميت ؟ .

ونجيب بأنه من حيث إن هذه الخلية قد فقدت مظاهر الحياة من تغذية وتنفس وإخراج وتكاثر وتوقفت فيها كل التفاعلات الكيميائية العضوية فهى ليست بكائن حى بالمعنى المعروف لدى علماء الأحياء ولكن من حيث إنها حافظت على تركيبها الجزيئى من عوامل الهرم والتحلل فى حين انهارت كل الخلايا الأخرى وتحللت إلى عناصرها الأولى فهى ليست مجرد جماد كالجمادات الأخرى وإنما يمكن اعتبارها كائن متجمد النشاط يحتوى على نظم ومعلومات بالغة الدقة وهو معزول بإحكام عن هذا العالم ومتغيراته وعند توافر ظروف وعوامل معينة (ميقاتها يوم القيامة) فإن لديه استعداداً لمعاودة نشاطه فتدب فيه الحركة لإنجاز المهمة التى وجد من أجلها وهى إعادة خلق الإنسان .

هل الجرثومة الآدمية تسجل الذكريات ؟ :

تفيد آيات القرآن الكريم بأن الإنسان حينما يبعث يوم القيامة سيتذكر كل مامر به من أحداث فى الحياة الدنيا .

﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[1]

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾[2]

وهذا يعنى أن الخلية المتجرثمة لاتسجل فقط الصفات الجسمانية للإنسان وإنما تحتفظ أيضاً بكل الأحداث والتجارب والخبرات التى مر بها الإنسان فى حياته الدنيا .

والثابت من خلال التجارب التى أجراها العلماء على المخ أن تسجيل المعلومات من صور وأصوات وروائح وأحاسيس وأحداث وخبرات مختلفة يتم عن طريق تحويلها إلى شفرة مادية باستخدام قواعد الحمض النووى [الادينين والثايمين والجوانين واليوراسيل] بذات الطريقة التى تسجل بها الصفات الجسدية للإنسان .

ومن هذه التجارب ماأجراه العالم الأمريكى « بابيش فرانك »عام ١٩٦٥ عندما قام بتدريب مجموعة من الفئران على تناول الطعام عند سماع صوت خاص واستطاع أن يربط تقديم الطعام بسماع هذا الصوت ثم قتلها واستخرج أمخاخها واستخلص منها مادة بروتينية قام بحقنها فى فئران أخرى غير مدربة ، فوجد أن نسبة كبيرة من الفئران المحقونة بهذا المستخلص البروتينى أقدمت على تناول الطعام عند سماع نفس الأصوات التى كانت تسمعها الفئران المدربة من قبل .

كما أجرى مجموعة من العلماء الدانمركيين تجربة مشابهة لهذه التجربة السابقة ، فقد قاموا بتدريب عدد من الفئران على المرور فى صندوق به ممران أحدهما مظلم والآخر مضىء ، وفى نهايته اناء به ماء وبعد تدريب الفئران على السير فى الممر المضىء قاموا بقتلها واستخلاص المادة البروتينية من أمخاخها ثم حقنها فى فئران أخرى غير مدربة وقد وجدوا أنها تسلك فى سيرها نفس الممر المضىء الذى كانت تسلكه من قبل الفئران المدربة[3] .

---

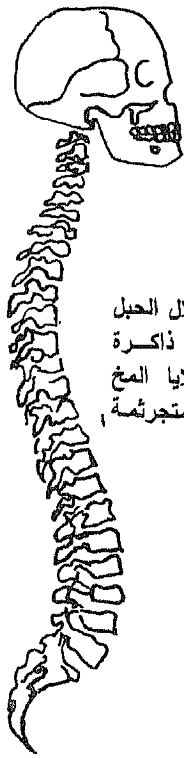
(١) سورة يس ــ الآية (٥٢)   (٢) سورة النازعات ــ الآية (٣٤ / ٣٥)

(٣) رسالة المخ / حاتم نصر فريد (العدد ٤٢٨ من سلسلة اقرأ ــ دار المعارف)

وبفحص المادة البروتينية التى استخلصت من أمخاخ الحيوانات المدربة وجد أنها تتكون أساساً من الأحماض النووية التى تتركب منها الشفرة الوراثية للصفات الجسدية للإنسان .

كما ثبت لدى العلماء أن خلايا المخ كلها تتعاون لإيجاد مانعرفه بالذاكرة وأن هناك منطقة بوسط المخ نسمى قرن آمون تختص بحفظ المعلومات فلا تمحى منها مهما طال الأمد .

وقد وجد أن المرضى المصابين بفقدان الذاكرة فى الحقيقة مصابون بعجز عن استخراج الذكريات المختلفة من أرشيفها ، فالذاكرة لا تفقد شيئا وكل ما سجل فيها يظل محفوظاً[1] .



الشكل من خلال الحبل الشوكى تنتقل ذاكرة الانسان من خلايا المخ إلى الخلفية المتجرثمة بعجب الذنب .

ولما كانت منطقة عجب الذنب على ارتباط وثيق بالمخ عن طريق الحبل الشوكى فالراجح أن الخلية المتجرثمة تتلقى من خلايا المخ كل المعلومات والخبرات التى يمر بها الإنسان فى حياته الدنيا وتقوم بتسجيلها أولاً بأول فى كتابها الحفيظ مستخدمة ذات الأبجدية التى تسجل بها الصفات الجسمانية للإنسان أى : قواعد الادنين والثايمين والجوانين والسيتوزين .

(١) ذات المرجع السابق

الباب الثالث

براهين من الحياة

براهين من الحياة

ضرب لنا المولى سبحانه وتعالى أمثلة من واقع الحياة الدنيا ممثلة فى بعض الكائنات الحية التى تعيش بين ظهرانينا ليبرهن لنا بالدليل الحى الذى لا ريب فيه ولا مراء أنه سبحانه وتعالى قادر على حفظ هذه الخلية المتجرثمة ونواتها وكتابها الحفيظ إلى يوم الدين حيث يبعثها إلى الحياة مرة أخرى لتعيد سيرة الجسد الذى جاءت منه ، وفى تدبر هذه الأمثلة عبرة لأولى الأبصار وذكرى للذاكرين .. وسبحانه القائل :

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[1] .

وفيما يلى نستعرض عدداً من هذه البراهين الحية ..

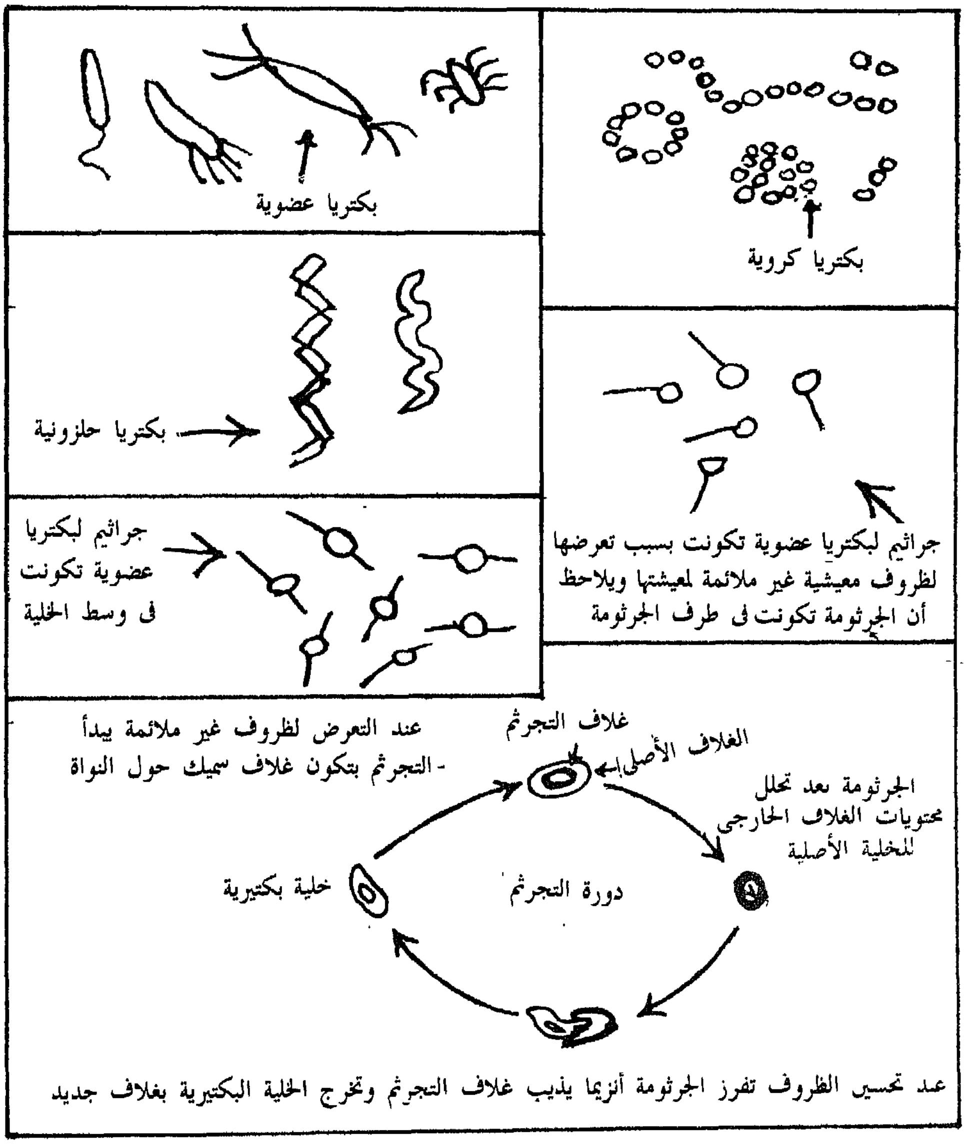
أولا : البكتريا المتجرثمة :

البكتريا كائنات حية وحيدة الخلية لا ترى إلا بالمجهر وهى تعيش فى جميع البيئات والأجواء ، فتوجد فى الهواء والسوائل والتربة وداخل مختلف الكائنات النباتية والحيوانية الحية والميتة وفى الأجواء الحارة والباردة ، ويرجع ذلك إلى دقة حجمها وسرعة تكاثرها وتنوع غذائها وقدرتها على التكيف مع مختلف ظروف المعيشة .. وتظهر فى ثلاثة أشكال أساسية فهى إما : كروية ، أو عصوية ، أو حلزونية .

والغريب فى أمر هذه الكائنات الحية الدقيقة والذى نحن بصدد دراستها والتأمل فيها هو أنها حينما تتعرض لظروف غير مناسبة كارتفاع درجة الحرارة أو قلة الغذاء أو

(١) سورة الروم ، الآية (١٩) .

انخفاض نسبة الرطوبة إلى حد الجفاف أو وجود مواد سامة فى البيئة المحيطة بها تلجأ بعض أنواع منها إلى التجرثم وذلك بأن تتخلص من بعض الماء فينكمش البروتوبلازم فى حيز أقل مبتعداً عن الجدار الأصلى للخلية ، ثم يتكون جدار خلوى آخر سميك حول الكتلة البروتوبلازمية المتكثفة والتى توجد بُداخلها النواة ، وهكذا تتكون الجرثومة .



ويتحلل الجدار الخارجي الأصلى للخلية لتبقى الجرثومة فى حالة سكون أو كمون داخل غلافها السميك المنيع تقاوم الظروف غير المناسبة لفترات طويلة تمتد إلى عشرات السنين وتستطيع مقاومة درجات الحرارة العالية كدرجة غليان الماء ١٠٠ درجة مئوية .

وعندما تجد الجرثومة البكتيرية الظروف المواتية لنموها فإنها سرعان ما تمتص الماء من الوسط المحيط بها وتنتفخ ممزقة جدارها أو تفرز أنزيما يذيب هذا الجدار وتخرج بجدار جديد لتعاود النشاط الحى مرة أخرى .

ثانيا : الديدان الشعرية [نيماتودا] وبطيئات الخطوة[1] :

وإلى جانب البكتريا هناك كائنات حية أخرى كثيرة فى مملكتى النبات والحيوان حينما تتعرض للظروف المعيشية المناوئة فإنها تجف وتفقد ماء جسمها وشكلها وقسماتها وتتحول إلى كرة صغيرة ليس فيها أى علامة تدل على الحياة بمعنى أن هذه الكائنات تمر بحالات لا تختلف فى قليل أو كثير عن حالة الموت ، فهى لا تتكاثر ولا تتنفس ولا تتحرك ولا تتغذى بل تنطوى على نفسها وتنكمش إلى حدود يصعب تصديقها ، وقد تستمر على ذلك شهوراً طويلة دون أن يعتريها تغير أو تبدل فإذا ما أمددتها بقطرة من الماء اهتزت وتمددت وعادت إلى شكلها الذى كانت عليه قبل جفافها ثم تبدأ فى الحركة والبحث عن الطعام والتهامه بشراسة .

ونذكر من هذه الكائنات – على سبيل المثال لا الحصر – أنواعاً من الديدان الشعرية (نيماتودا) وبعض أنواع من الحيوانات الهدبية الدوارة (روتيفر) وأنواع من الحيوانات المائية الصغيرة ذات الأرجل المفصلية والمعروفة علمياً باسم بطيئات الخطوة (تارديجريد) .

والغريب فى أمر هذه الحيوانات ، والجدير بالتأمل حقاً هو أنها تستطيع أن تواصل الحياة حتى ولو عرضناها أثناء كمونها لدرجات حرارة تصل إلى ١٥١ درجة مئوية أى أعلى بكثير من درجة غليان الماء كما أنها تقاوم الصقيع الشديد جداً حتى ولو انخفضت الحرارة إلى حدود قريبة جداً من الصفر المطلق (٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر) أى أنها تتحمل محصلة حرارية فرقها ٤٢٠ درجة مئوية وهى كافية لصهر بعض المعادن

---

(١) الحياة الخفية – مقال للدكتور عبد المحسن صالح – مجلة العربى العدد ٢٣٩ .

مثل القصدير الذى ينصهر عند ٢٣٢ درجة مئوية ، والرصاص الذى ينصهر عند ٣٢٧,٤ درجة مئوية .

ويضاف إلى ذلك أن تلك الكائنات تتحمل الإشعاعات بدرجات رهيبة تصل إلى ٥٧٠ ألف رونتجن (الإنسان لا يتحمل أكثر من ٥٠٠ رونتجن) - كما أنها تتحمل درجات من التفريغ الهوائى يصل فقط إلى خمسة ملليمترات من الزئبق (الضغط الجوى العادى ٧٦٠ ملليمترا) كما أن بعضها يقاوم التفريغ الذى يصل إلى جزء من مليون جزء من الملليمتر الزئبقى لفترات قصيرة ، وهذا وغيره قد يجعل الأجسام البشرية تنفجر وتموت فى لحظة خاطفة !! ولكن هذه الكائنات شىء آخر مختلف !!

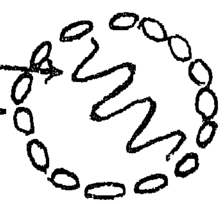
ويجىء س . الينبى من جامعة نيو كاسل ليجفف هذه الكائنات تجفيفاً تاماً لدرجة أنها خلت من أى ماء حر أو مقيد ومع ذلك أمكن أن تعود إلى الحياة لو أننا غمسناها فى الماء !!

ثالثاً : الفـــيروس :

الفيروسات كائنات بالغة الضآلة تتراوح أحجامها بين ٥ - ٣٠٠ ملليميكرون[١] ، ونظراً لهذه الضآلة البالغة فهى لا ترى بالمجهر الضوئى وإن كان يمكن تصويرها بالمجاهر الالكترونية .

وهى تمر من أصغر ثقوب صنعتها اليد البشرية بل إنها تمر من مختلف مسامات الأغشية المستعملة فى الترشيح وتغيش عالة على مفردات الحية الكائنة فى الخلايا النباتية والحيوانية وتصيب كل الكائنات المعروفة من أصغرها كالبكتريا إلى أكبرها كالإنسان والحيوان .

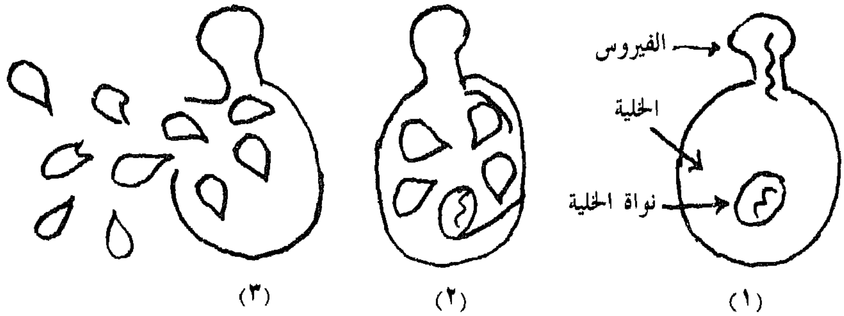
ويتركب جسم الفيروس من شريط حمضى نووى (كتاب حفيظ) كذلك الشريط الذى يوجد بنواة الخلية ويحيط بهذا الشريط غشاء بروتينى على هيئة وحدات صغيرة متراكبة .



(الشكل) مقطع عرضى من الفيروس

(١) الملليميكرون = ١/١٠٠٠ من الميكرون ، الميكرون = ١/١٠٠٠ من الملليمتر .

وعندما يهاجم الفيروس خلية العائل يترك غشاءه البروتينى خارجاً وينفذ شريط الحمض النووى فقط من خلال جدار الخلية لينحى شرائط الحمض النووى لنواة الخلية ويتولى هو حث الخلية على إفراز أنزيمات تحول محتويات الخلية المصابة إلى جزيئات من الحمض النووى الفيروسى .



(الشكل) فيروس يهاجم خلية ويستخدم محتوياتها فى صنع افراد متشابهين له ثم تنفجر الخلية لتخرج افراد الفيروس الجديد بعد ان تكون الخلية قد دمرت تماما



(الشكل :) أشكال الفيروسات

والعجيب فى أمر الفيروس هو أن هذا الكائن المتناهى فى الدقة يتقلب مراراً وتكراراً ما بين الحياة والموت أو ما بين عالم الجمادات وعالم الأحياء ! فهو داخل الخلية الحية التى يهاجمها كائن حى يحث على إنتاج الأنزيمات وتتكاثر أعداده ، بينما يتحول خارج الخلية إلى جماد من الجمادات يتبارى مع المركبات البللورية فى خصائصها حيث يتبلور كبللورات الملح ويتخذ بالفعل شكلا صخريا متبلورا دون أن تنقص قدرته على نقل العدوى حيث إنه بمجرد عودته للخلية تعود إليه نضارته ليمارس نشاطه ككائن حى .

كما أن الفيروس يفقد القدرة على الحياة بمجرد فقده لغلافه البروتينى فإذا ما أعيد إليه عادت معه مظاهر الحياة !!

إن هذه الأمثلة التى سقناها لتلك الكائنات الحية التى تنتابها حالة من الجفاف والضمور تفقد خلالها كل مظاهر الحياة من تنفس وتغذية وحركة وتكاثر وقد تتعرض أثناء ذلك لأعتى عوامل التهلكة كدرجات الحرارة والأشعة والضغوط العالية ومع ذلك فهى بمجرد أن تنقع فى الماء تعود إلى سابق نضارتها وتمارس نشاطها الحى ، أو تلك الكائنات التى تنقلب ما بين الموت والحياة ضاربة بكل ما ألفه البشر من النواميس عرض الحائط – إن هذه الكائنات العجيبة آية بالغة تقطع بأن مسألة حفظ الخلية المتبقية من جسد الإنسان وما تحويه من نواة وكتاب حفيظ متمثلا فى شرائط الحمض النووى هى ليست بشىء عزيز على الله سبحانه وتعالى القادر على كل شىء وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١) .

****

(١) سورة الاسراء ، الآية (٤٩ ــ ٥٢) .

أرض البعث

قال تعالى :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[1] .

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[2] .

تفيد الآيات المباركات أن الأرض التى سيبعث منها الناس يوم القيامة هى كوكب الأرض الذى نعيش عليه اليوم فى الحياة الدنيا .

فهى الأرض التى ماتت فيها الأجساد وتحللت إلى عناصرها المعدنية بعد أن تركت بذوراً متجرثمة تظل ساكنة فى التراب إلى أن يحين اليوم الموعود ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ولقد بين لنا القرآن الكريم أن كوكب الأرض لن يظل على طبيعته التى نألفها اليوم وإنما ستعتريه تغيرات جذرية هائلة هى جزء مما سيصيب الكون كله من تغير وتبدل .

فالجراثيم الآدمية قد تراكمت عليها عبر أحقاب الزمان طبقات وطبقات من الصخور الرسوبية والمتحولة ولربما النارية[3] التى أحكمت الحلقات من حولها ، ويتطلب إنباتها أن تحرث الأرض حرثاً جيداً وتدك دكاً لتتحرر تلك الجراثيم من قبضات الصخور وتتهيأ لأعظم عملية إنبات وذلك بأن تهتز الأرض وتضطرب بطولها وعرضها وتزلزل زلزالا عنيفاً وترج بما فيها كرج الغربان بما فيه فنزول الجبال وتتساوى المهاد وتبقى الأرض قاعا صفصفاً أى سطحاً مستويا لا عوج فيه ولا أمتا أى لا وادى ولا جبل . وتتحول جلاميد الصخور إلى تربة هشة مفككة الحبيبات كالرمال السائلة أو الصوف المنفوش قال تعالى :

---

(١) سورة طه الآية (٥٥) **(٢) سورة الأعراف ، الآية (٢٥) .**

(٣) الصخور النارية تنشأ من مقذوفات البراكين بينما تتكون الصخور الرسوبية من مخلفات الكائنات الحية ونواتج التعرية .

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً
مُّنۢبَثًّا ﴾(١)

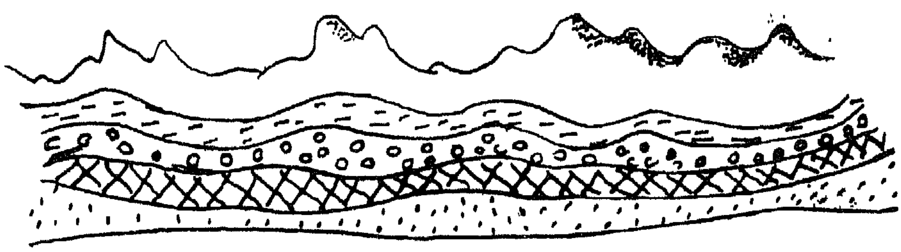
﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾(٢)

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾(٣)

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾(٤)

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾(٥)

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾(٦).



(الشكل) الجراثيم الآدمية قد تراكم عليها عبر الزمان طبقات من الصخورالرسوبية والمتحولة أحكمت الحلقات من حولها



(الشكل) تزول الجبال وتتساوى المهاد وتتحول جلاميد الصخور إلى تربة هشة مفككة وتبقى الأرض قاعا صفصفا لا عوج فيها ولا أمتا

(١) سورة الواقعة الآية (٤، ٦).
(٢) سورة الحاقة الآية (١٤).
(٣) سورة الكهف الآية (٤٧).
(٤) سورة طه الآية (١٠٥، ١٠٧)
(٥) سورة المزمل، الآية (١٤).
(٦) سورة القارعة الآية (٥).

ــ التغير فى طبيعة الكون :

وقد يعزى تحول الصخور الصلبة إلى تربة هشة مفككة إلى ضعف فى قوة التحاذب الطبيعية بين جزئيات المادة فنجد أن العناصر التى تبدو لنا اليوم شديدة الصلابة كالحديد والنحاس والصخور النارية تتحول إلى مواد هشة بسبب فقدان التماسك بين جزئياتها مما يعنى أن طبيعة المادة ستتغير عما هو مألوف لنا اليوم .

وبالتأمل فى قوله تعالى :

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾(١) .

نجد أن تسيير الجبال قد يرجع إلى ضعف يطرأ على الجاذبية العامة فى الكون ، أى تلك القوة التى تشد مكونات الأرض إلى مركزها والتى تربط النجوم بكواكبها والمجرات بنجومها . ونلاحظ أن الآية الكريمة توحى بأن الجبال أو بعضها ستحتفظ بمظهرها الخارجى المألوف لنا فى الحياة الدنيا ولكنها ستفقد ثباتها ورسوخها المعهود حتى أن أقل هزة أو هبة هواء يمكنها تحريكها كالسحاب . فهى من بعيد تبدو كالجبال الراسخة ولكن بفحصها من قريب يتبين أنها بخلاف ذلك تماما كالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى إذ ما جاءه لم يجده شيئا . مما يعنى أن الجبال وكل ما على الأرض سيفقد الوزن فضلاً على أن مادتها ستكون هشة كالصوف المنفوش وذلك فى إطار ما يعترى الكون كله من تغير فى قوانينه ونظمه التى نألفها اليوم .

---

(١) سورة النبأ الآية (٢٠)

وجعلنا من الماء كل شيء حيّا

قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(١)

وحيث إن البعث كما هو ثابت من الكتاب والسنة عملية إنبات ، والإنبات يتطلب أن تروى الحقول بالماء ، فإن الأرض بعد أن دكت دكا وحرثت تربتها حرثاً جيداً وصارت حبيباتها مفككة وتحررت البذور الآدمية من أغلالها لا يبقى إلا أن يروى هذا الحقل العظيم بالماء لتستعيد الجراثيم الكامنة حيويتها وتنشط لتحقيق غايتها العظيمة التى مكثت فى حرزها المكنون أحقابا وأحقابا فى انتظار إنجازها ، والآن جاء اليوم الموعود وحانت الساعة المرتقبة فينطلق الأمر من الحكيم الجبار وما بين الكاف والنون تكون أبواب السماء قد فتحت مدراراً بماء منهمر وفى لحظات كلمح البصر تستحيل اليابسة إلى مستنقع هائل من الطين اللازب أو الحمأ المسنون .

وقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ ما معناه أن الله سبحانه وتعالى يأمر السماء أن تمطر .. فتمطر أربعين يوما حتى يكون ارتفاع الماء على الأرض اثنى عشر ذراعا .. فيأمر الأجساد أن تنبت كما ينبت البقل(٢) .

وإذا كانت وظيفة الماء بالنسبة للنبات هى إذابة المواد الغذائية بالتربة ليسهل على جذور النبات امتصاصها .

هذا فضلا على أن العناصر التى يتركب منها الماء (الأكسجين والأيدروجين) تدخل ضمن العناصر التى تتركب منها مكونات الخلية النباتية ـــ كذلك ستكون أهمية الماء بالنسبة لإحياء الموتى يوم القيامة ، ذلك أن نمو الجراثيم الآدمية يتطلب توافر كم هائل من المركبات الأولية اللازمة لتكوين البروتينات التى تبنى بها الخلايا الحية وهذه المركبات تتمثل كما رأينا فى الأحماض الأمينية العشرين الوارد ذكرها فى الكتاب الحفيظ

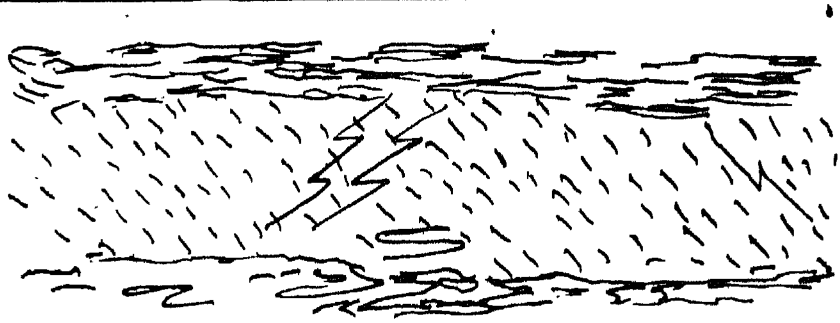
---

(١) سورة الزخرف الآية (١١)

(٢) ابن كثير ص ١٤٧ حديث الصور .

المكنون بكل جرثومة . والماء لازم لتكوين هذه المواد العضوية بالإضافة إلى عوامل أخرى مثل غاز المستنقعات أو النشادر والأيدروجين وثانى أكسيد الكربون ، وعامل مثير أو مصدر للطاقة مثل الأشعة فوق البنفسجية والتفريغ الكهربى الجوى (البرق) .

هذا فضلا على أن الماء يدخل فى جميع التفاعلات الحيوية فى الخلية ، ويكون الجزء الأكبر من تركيب المادة البروتوبلازمية الحية . والراجح أن ماء البعث يحتوى على مواد منشطة تعمل على تنبيه الخلايا المتجرثمة لتستيقظ من سباتها العميق وتعاود نشاطها البناء .



(الشكل) وتفتح أبواب السماء بماء منهمر لتحيل اليابسة إلى بركة من الطين اللازب أو الحمأ المسنون

****

الباب الرابع

الطاقة

الطـاقــة

الطاقة من العوامل الهامة اللازمة لاستمرار الحياة على سطح الأرض ، وهى تعنى الحركة والنشاط والحيوية بينما يعنى انعدامها السكون والتجمد .. ولكل نوع من الكائنات الحية قدر معين من الطاقة يناسب حاجته وطبيعة تكوينه .

وكما رأينا فإن إنبات النبات يتطلب توافر قدر معين من الطاقة تختلف درجته من نبات لآخر ، فهناك نباتات لا تنشط أجنة بذورها للنمو إلا فى الأجواء الحارة بينما توجد نباتات يتطلب إنباتها توافر جو بارد منخفض الحرارة فى حين لا تنبت بعض النباتات إلا فى الطقس المعتدل الحرارة .

والنجوم ـــ لمستعرة هى مصدر الطاقة فى الكون وتستمد الكائنات الحية ـــ على كوكب الأرض ـــ حاجتها من الطاقة ، من الشمس التى هى أقرب النجوم إلى الأرض والتى هى بحق ربيبة الحياة على سطح هذا الكوكب .

وإنبات الجراثيم الآدمية يتطلب بدوره قدراً مناسباً من الطاقة .. تلك الطاقة لن تكون بالضرورة من جنس الطاقة المألوفة لنا فى الحياة الدنيا ، ذلك أن الشمس والنجوم لن تظل على حالها الراهن وإنما سيعتريها تغير كبير حيث يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ ﴾(1)

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾(2)

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾(3)

وطمس النجوم وانكدارها وتكوير الشمس يعنى بصفة عامة اضمحلالها وذهاب

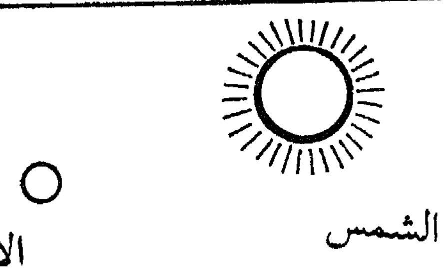
(1) سورة المرسلات الآية (٩،٨) .
(2) سورة التكوير الآية (٢،١) .
(3) سورة الانفطار الآية ٢،١) .

ضوئها وإظلامها .. ولكن هذا لا يعنى أن الشمس ستتحول إلى جرم بارد كالكواكب السيارة وإنما ستظل مشتعلة متقدة ترسل بحرارتها وإشعاعاتها إلى الأرض ، بدليل حديث النبى ﷺ « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل »(١) وفى حديث آخر « إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين باعا وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس » .

فطمس النجوم وتكوير الشمس يعنى أن ما يصدر منها من ضوء وحرارة سيخفت إلى الحد الذى يجعلنا لا نحس فيه بوجودها ونحن على الأبعاد الحاليةمنها .

ولكن الأرض ستتحرك من موقعها الحالى لتكون على بعد قريب جداً من الشمس .. لربما تكون على بعد القمر الحالى من الأرض أو أشد قربا(٢) .

ونتيجة لهذا الاقتراب الشديد من الأرض سيكون لما يصدر من الشمس الخافتة من ضوء وحرارة آثار على الأرض وكائناتها الحية أشد من آثارها اليوم وهى فى أوج حرارتها وسعيرها ولكن على بعد ٩٣ مليون ميل عنها . كما أن طبيعة ضوء وحرارة الشمس فى ذلك اليوم ستختلف عما هى عليه اليوم . فالشمس لن تكون ذلك الجرم المتوهج بنوره الأبيض الساطع وحرارته الدافئة وإنما سيكون لما تبثه الأرض من ضوء وحرارة وإشعاعات مواصفات تتمشى مع الانقلاب الكونى فى ذلك اليوم ، وستعمل تلك الحرارة والإشعاعات ذات المواصفات الخاصة بالاشتراك مع العوامل الأخرى على تنبيه الجراثيم الآدمية لتنشط وتنمو لتعيد سيرة الأجساد التى جاءت منها ، كما أنها ستكون عنصراً فعالاً فى تكوين المركبات العضوية والأحماض الأمينية من مستنقع الحمأ المسنون أو الطين اللازب لتوفر لتلك الجراثيم الغذاء اللازم والمناسب لنموها .



الشكل : ستضاءل حرارة الشمس كثيرا لكن لنتيجة لاقتراب الأرض الشديد منها سيكون لما يصدر من الشمس من ضوء وحرارة اثارً على الأرض وكائناتها الحية اشد من اثارها اليوم

(١) رواه مسلم

(٢) يبعد القمر عن الأرض بحوالى ربع مليون ميل فى حين تبعد الشمس عنها بحوالى ٩٣ مليون ميل .

لا خوف من جاذبية الشمس :

ورب سائل عما إذا كان اقتراب الأرض الشديد من الشمس يعنى تأثرها بمجال جاذبيتها وسقوطها فى أتونها المشتعل ؟! ونجيب بأن الجاذبية العامة فى الكون سيتضاءل تأثيرها بدليل قوله تعالى :

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾(1) .

أى إذا السماء انصدعت بزوال أحكامها وإذا الكواكب ـ أى النجوم ـ تبعثرت بزوال ما كان يربط فيما بينها . وبالتالى فإن اقتراب الأرض الشديد من الشمس لن يؤدى إلى السقوط فى أتونها المشتعل وإنما سيعمل ذلك على بقاء الأرض فى مدار حول الشمس يحفظها من الانتثار فى الفضاء نتيجة لضعف الجاذبية العامة .

والمعروف لدى علماء الفلك أنه فى ضوء القوانين الكونية السائدة اليوم أن النجم حينما يستهلك وقوده النووى يتحول إلى ثقب أسود فى حالة ما إذا كانت كتلة تزيد على ١,٢ من كتلة الشمس وتبلغ جاذبيته حداً كبيراً يلتهم معها كل الأجسام المادية من حوله بل إن جاذبيته المهولة لا تسمح حتى للإشعاع الصادر منه بالإفلات بعيداً عنه ، أما إذا كانت كتلة النجم أقل من ١,٢ من كتلة الشمس فإنه يتحول إلى قزم أبيض ذى جاذبية شديدة أيضاً ولكن بدرجة أقل من جاذبية الثقب الأسود . كما استنتج هؤلاء العلماء من واقع دراساتهم وأبحاثهم أن الشمس والغالبية العظمى من النجوم ستنكدر بعد آلاف الملايين من السنين حيث تكون قد استنفدت وقودها لتبدأ فى التحول إلى أجرام باردة .. ولكن هذه الفروض مبنية على أساس أن القوانين الكونية الحالية ستظل قائمة إلى الأبد وهو فرض مشكوك فيه ، ذلك أن لهذه القوانين أجلا معلوما تتبدل عنده بما لا يعلمه إلا الله وحينئذ ستنهار كل الفروض التى بنيت عليها .

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(2)

(١) سورة الانفطار الآية (٢،١) .

(٢)سورة الاسراء الآية (٨٥)

مراحل الإنبات

جاء اليوم الموعود

وهاهى العوامل كلها قد اجتمعت بقدرة القادر لكى تحث الخلايا الآدمية المتجرثمة وتدعوها دعًّا للاستيقاظ من ثباتها العميق .. فالصخور الصلبة تحولت إلى تربة هشة صالحة لنموها .. وفتحت أبواب السماء بوابل من الأمطار ذات المواصفات الخاصة المجهزة خصيصاً لإنباتها .. وقد استحال سطح الأرض إلى مستنقعات مكتنزة بالمركبات العضوية والأحماض الأمينية المهيأة تماماً كمادة غذائية صالحة لنموها .. والشمس ترسل بنوع خاص من الأشعة هى فى حقيقتها إشارات ضوئية تعلن للخلايا المتجرثمة أن ساعة البعث قد حانت وأن يوم الدين قد بدأ .. فهلمى .. انهضى ..

والآن لا يبقى إلا أن تستجيب الخلايا المتجرثمة لنداء الحق سبحانه وتعالى لتخرج من سباتها العميق وتنتزع عنها لباس الغفلة والسكينة فالسبيل ميسر تماماً لكى تؤدى رسالتها العظيمة التى وجدت من أجلها وهى إعادة الأجساد إلى الحياة بعد فنائها بقدرة الله سبحانه وتعالى الذى خلق الموت والحياة والذى يحيى الأرض بعد موتها والذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وليبدأ يوم الدين لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .

ولنتابع فى السطور الآتية ما نتصور أن تقوم به الخلية الآدمية المتجرثمة من نشاط فى ذلك اليوم .

إذابة غلاف التجرثم :

غلاف التجرثم هو ذلك الحصن المنيع الذى كان يغلف الخلية الآدمية المتجرثمة وكتابها الحفيظ ليوفر لها الحماية التامة من جميع العوامل المهلكة التى قد تتعرض لها .. وهو الغلاف الذى لم تفلح النيران الحامية ولا المطاحن الرهيبة ولا الضغوط المتناهية ولا الإشعاعات القاتلة فى النيل من صلابته ومناعته والآن وقد حان وقت الخروج آن

للخلية المتجرثمة أن تتخلص من غلافها المنيع بعد أن أدى دوره خلال الحقبة الجرثومية الساكنة كدرع يحميها .

ولكن كيف السبيل للخروج من ذلك السجن المحكم الغلق وقد فشلت كل الأهوال والمهلكات فى تحطيمه ؟ إن الذى أعطى لهذا الغلاف إحكامه ومناعته أوجد له أيضا مفاتيحه التى قد تتمثل فى الماء ذى المواصفات الخاصة الهابط من السماء فيعمل على إذابته ، أو قد تفرز الخلية المتجرثمة من داخلها ــ بفعل العوامل التى استجدت من حولها ـــ مركباً كيميائيا يذيب غلاف التجرثم ، وبالمناسبة فإن هذا هو ما يحدث بالضبط لجرثومة البكتريا المتقدم ذكرها ، حيث إنها حينما تجد البيئة الصالحة لمعاودة نشاطها الحى تقوم بإفراز إنزيم متخصص يعمل على إذابة غلاف الجرثومة ـــ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون .

وأيا كانت الوسيلة التى ستتخلص بها الخلية المتجرثمة من غلاف التجرثم فإنها ستستبدل بهذا الغلاف السميك غلافا آخر رقيقا مرناً يسمح بدخول المواد الغذائية وخروج النفايات لتعلن بدء الحياة الحافلة بالنشاط من جديد ..

وهكذا فإن الخلية المتجرثمة بخروجها من غلاف التجرثم السميك تكون قد خرجت من عالم الموت بوحشته وسكونه وضيقه إلى عالم الحياة برحابته ونشاطه وأنسه .. وسبحان من يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وإليه النشور .

امتصاص الماء

كانت الخلية الجرثومية قد فقدت كل ما بها من ماء خلال حقبة التجرثم لتنكمش فى أضيق نطاق ممكن فضلا عن عدم حاجتها إليه فى تلك الحقبة حيث السكون التام .. أما الآن وقد عادت إلى النشاط والحيوية المتدفقة فإن أول ما تقوم به بعد خروجها من غلاف التجرثم هو أن تستعيد ما كانت قد فقدته من ماء (وهو يعادل ٧٥٪ من وزن الخلية الكاملة) لكى يعود إليها حجمها وقوامها وتنشط فيها كل مكوناتها كخلية حية قادرة على القيام بكافة أنشطة الحياة وعلى رأسها النمو والتكاثر .

وقد ورد فى حديث النبى ﷺ أنه بعد أن تمطر السماء أربعين يوماً يأمر الله الأجساد أن تنبت ، فتنبت كما ينبت البقل أى النبات ، والمشاهد هو أن أول ما تشرع فيه بذور النباتات حينما تغرس فى الأرض المبللة أنها تقوم بامتصاص الماء ثم تنشط أحنتها

بعد ذلك للإنبات وقياساً على ذلك نرى أن أول ما ستقوم به الخلية الجرثومية بعد خروجها من حالة التجرثم هو أن تقوم بامتصاص الماء وفق ما تقدم ذكره .

كما بدأكم تعودون :

هاهى الخلية المتجرثمة قد استعادت حيويتها ونضارتها ولم تعد جرثومة إنما هى الآن خابة حية تتميز بكل مظاهر الحياة المعروفة لدى علماء الأحياء أو قل إنها تتشبه تماماً تلك الخلية الأولى التى بدأ بها الخلق الأول للإنسان فى الحياة الدنيا وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾(1) ، ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾(2)

﴿ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾(3) .

إن ما سيحدث الآن هو تكرار لما حدث فى الخلق الأول حينما نشأ الإنسان من خلية واحدة تحتوى على ستة وأربعين كروموزوما نصفها من بويضة الأم والنصف الآخر من الحيوان المنوى للأب .

كل ما فى الأمر هو أن الأجنة البشرية نشأت فى الخلق الأول فى أرحام الأمهات ، أما فى الخلق الآخر يوم القيامة فإن الأجنة البشرية ستنشأ فى بطن الأرض أم البشر جميعا . وكما سنرى فإن هناك بعض التشابه بين رحم الأرض وأرحام الأمهات فكلاهما قرار مكين ومصدر للجود والعطاء والرحمة المستمدة من الرحمن الرحيم .

وإذا كانت الخلية الأولى فى الخلق الأول قد نشأت من اندماج حيوان منوى يحمل نصف عدد الكروموزومات مع بويضة تحمل النصف الآخر ، فإن الأمر فى الخلق الآخر لا يستدعى اندماج حيوان منوى ببويضة ، ذلك لأن الخلية المتجرثمة تحتوى أصلا على العدد الكامل للكروموزومات أى ستة وأربعين كروموزوماً تماماً كتلك الخلية التى بدأ بها الخلق الأول .

وقد قيل فى بعض الأثر : إن الماء الذى ستمطر به السماء يوم القيامة لتنبت

(1) سورة الأنبياء الآية (104)

(2) سورة الأعراف الآية (29)

(3) سورة يس الآية (79)

به الأجساد يشبه نطف الرجال ، ولكن هذا لا يعنى أن ذلك الماء يحتوى على حيوانات منوية لإخصاب الخلايا المتجرثمة فهى ليست فى حاجة إلى ذلك كما رأينا وإنما قد يكون المقصود هو أن ذلك الماء يحتوى على مواد منشطة تعمل على تنبيه تلك الخلايا وتنشيطها تماماً كتلك المواد المنشطة التى يحتوى عليها منى الرجال وتعمل على تنشيط الحيوانات المنوية .

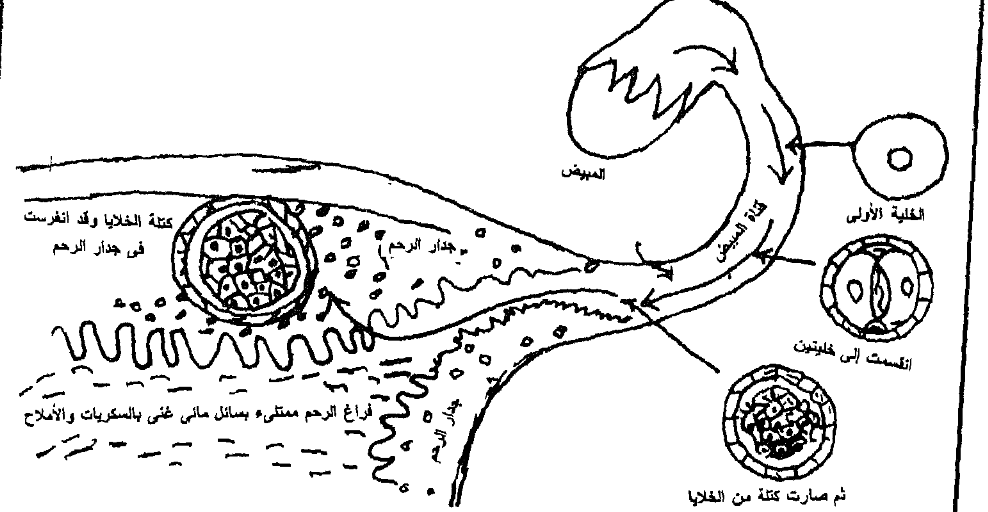
ولنتابع الآن ما سيحدث للخلية المتجرثمة بعد أن استعادت حيويتها ونضارتها مستهدين فى ذلك بعلم الأجنة فى الخلق الأول ولنقارن ما بين أوجه الشبه والاختلاف فى الخلقين .

الانقسام الخلوى :

فى الخلق الأول للإنسان نجد أنه بمجرد تكون الخلية الأولى تبدأ فى الانقسام إلى خليتين فأربعٍ فثمانٍ فست عشرة وفى نهاية الأسبوع الأول تكون قد تجاوزت المائة خلية وكل هذه الانقسامات للخلايا إنما تتم داخل الغشاء الأصلى للخلية الأولى .. وخلال الثلاثة أيام الأولى من الأسبوع الأول للحمل يبدأ انزلاق كتلة الخلايا هذه من قناة المبيض (فالوب) حيث تكونت الخلية الأولى متجهة إلى الرحم ، وتصل إليه فى حدود اليوم الرابع .. وتظل فى انزلاقها على جدران الرحم لمدة يومين أو ثلاثة حتى تنغرس داخل السطح الداخلى للرحم ، وهو سطح اسفنجى سميك به عدد كبير من الأوعية الدموية المملوءة بكم هائل من الدماء هى فى الحقيقة الغذاء اللازم لنمو الجنين ، أما فراغ الرحم فإنه يمتلىء بسائل مائىٍ غنى بالسكريات والأملاح استكمالاً لمصدر غذاء الجنين ، فضلا على أنه يعمل على حمايته من الصدمات الخارجية .. ومما هو جدير بالإشارة إليه فى هذا الصدد التأمل فى دقة التعبير القرآنى حيث تصف آيات القرآن الكريم كتلة الخلايا المنغرسة فى جدار الرحم بالعلقة[1] ، هذا فى وقت لم يكن فيه الإنسان يعلم شيئا عن مراحل خلق الجنين .

---

(١) نسبة إلى تعلقها بجدار الرحم .



الشكل : يبين مسار الخلية الأولى من قناة المبيض حيث تكونت حتى تنغرس فى جدار الرحم بعد ان صارت كتلة من الخلايا هى بداية لتكون الجنين .

وتتغذى كتلة الخلايا هذه عن طريق امتصاص الغذاء بذات الطريقة التى تتغذى بها البذور عند وضعها داخل الأرض المبللة .

ثم نجد أن مجموعة من الشعيرات الدقيقة تخرج من كتلة الخلايا لتعمل على تثبيت الجنين فى مكانه. وتكون فى نفس الوقت وسيلة لامتصاص الغذاء من جدار الرحم وتتحول هذه الشعيرات فى النهاية إلى ما يسمىٰ بالحبل السرى ، ويسمى موضع التصاقه بجدار الرحم بالمشيمة .

وتتجمع بعض خلايا الجنين لتكون غلافاً من حوله ومن خلال هذا الغلاف تتسلل السوائل لتكون ما يسمى بالسائل الأمينوسى حيث يبقى الجنين داخل جو مائى .

وفى نهاية الشهر الأول يبلغ طول الجنين سنتيمتراً واحدا وحجمه نصف حجم البندقة ويكون هلاميا[1] ومع ذلك تظهر أطرافه ويكون له رأس به عينان وأذنان وفم ومخ وكلية وكبد وقناة هضمية وقلب، ينبض ودورة دموية تستقل عن الدورة الدموية للأم ويتم الالتقاء بين الدورتين فى المشيمة ولكن بغير اختلاط بينهما حيث يجرى دم الأم على أحد جانبى المشيمة فى أوعية خاصة وعلى الجانب الآخر يجرى دم الجنين ويتم تبادل المواد التى ترشح من الدم من خلال الأنسجة التى تفصل هاتين المجموعتين من الأوعية الدموية فيصل إلى الجنين الغذاء والأكسجين وتتسلم الأم المواد العادمة التى يخرجها الجنين .

ويدق قلب الجنين خمسا وستين مرة فى الدقيقة وإن كان هذا القلب لا يزيد طوله فى تلك المرحلة على ملليمترين . وفى الشهر الثالث تبدأ الرئتان فى العمل لتؤديا حركة الشهيق والزفير ، وحيث إن الجنين مغمور فى السائل الأمينوسى فإن الذى يدخل ويخرج من رئتيه هو ذلك السائل وليس الهواء الجوى الذى لا وجود له فى عالم الأرحام ولكن هذا لا يعنى اختناق الجنين فهو يستمد حاجته من الأكسجين من خلال الحبل السرى الذى يصل بينه وبين الدورة الدموية للأم من خلال المشيمة .

وفى الشهر الرابع يبدأ الجنين فى تحريك ساقيه وثنى أصابعه وكفيه وضم شفتيه بعضهما إلى بعض وابتلاع السائل الأمينوسى الذى تقوم المعدة بهضمه والاستفادة منه ، كما تكون للجنين القدرة على التبول وإذا كانت قطرات هذا البول معقمة ولا ضرر منها ويتم التخلص منها عن طريق السائل الأمينوسى المحيط بالجنين .

والقدرة على تحريك الأطراف والشفتين تعنى أن الروح ذات الإرادة والسيادة بدأت تفرض وجودها وهيمنتها على هذا المجتمع الخلوى الحى المنظم وهذا يتفق تماما مع حديث النبى ﷺ الذى يفيد بأن الروح تستقر بالجسد فى الشهر الرابع من بدء تكون الإنسان .

وفى الشهر التاسع تكون الخلية التى بدأ بها الخلق قد صارت إلى مائتى مليون

(١) هذا وقد ثبت علميا أن الخلية العظمية تسبق فى الخلق الخلية العضلية .

خلية كما يتضاعف وزن هذه الخلية ستة ملايين مرة ، ثم تبدأ بعد ذلك ترتيبات الميلاد وخروج الوليد إلى عالم الحياة الدنيا .

كانت تلك فى عجالة هى المراحل التى يمر بها خلق الإنسان فى الحياة الدنيا منذ بدء تكوينه من خلية واحدة وانتهاء بخروجه إلى الحياة طفلا صغيرا لا يقوى على شيء وذلك كما يرويه لنا العلماء المتخصصون فى هذا المجال من العلوم ..

ولكن ماذا عن الخلق الآخر يوم القيامة ؟!

إن إعادة خلق الإنسان يوم القيامة تكاد تنطبق وإلى حد كبير مع الخلق الأول فى الحياة الدنيا فالذى أنشأ الإنسان أول مرة هو سبحانه الذى سيعيده وبذات الكيفية التى بدأ بها خلقه

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(١) ، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾(٢)

﴿قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾(٣)

فلقد رأينا أن البداية فى الخلقين واحدة وهى خلية واحدة تحمل فى نواتها ستة وأربعين كروموزوماً مكتوبا بها كل خواص وصفات الجسد المزمع انشاؤه مع بيان الخطوات التنفيذية التى تؤدى إلى اكتمال الخلق فى أحسن صورة . ومن الطبيعى أن تسلك الخلية المتجرثمة بعد أن تخلصت من غلاف التجرثم ودبت فيها الحياة واستعادت نشاطها وحيويتها كخلية حية يافعة من الطبيعى أن تسلك بعد ذلك ذات الخطوات التى خطتها الخلية الأولى التى بدأ بها خلق الإنسان فيبدأ كتابها الحفيظ فى إصدار التعليمات والتوجيهات وفق ما هو مدون فيه لتنقسم إلى خليتين فأربع فثمان فست عشرة وتتحول إلى كتلة من الخلايا أو مضغة ..

وإذا كانت كتلة الخلايا فى الخلق الأول تغوص فى البطانة الإسفنجية لجدار الرحم فإن كتلة الخلايا فى الخلق الآخر تكون مغروسة فى تربة الأرض التى ستشبه فى قوامها وتركيبها البطانة الإسفنجية لجدار الرحم فكلاهما هش القوام ومكتنز بالعناصر الغذائية المذابة .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٩)

(٢) سورة الأنبياء الآية (١٠٤)

(٣) سورة يس الآية (٧٩) .

وإذا كان فراغ الرحم يمتلىء بسائل مائى غنى بالسكريات والأملاح استكمالا لمصدر غذاء الجنين ، كذلك فإن التربة الهشة التى ستحتضن الأجنة الآدمية يوم القيامة سيعلوها سائل مائى بذات المواصفات وبارتفاع اثنى عشر ذراعاً كما ورد فى الحديث عن النبى ﷺ .

وكما حدث فى الخلق الأول فإن كتلة الخلايا المغروسة فى تربة البعث ستتغذى فى البداية بذات الطريقة التى تتغذى بها البذور عند وضعها فى الأرض المبللة ثم يخرج منها مجموعة من النتوءات من كل جانب تعمل على تثبيت الجنين فى مكانه وتكون وسيلة لامتصاص الغذاء المذاب بالتربة وتتحول هده النتوءات إلى حبل سرى ومشيمة ، وعلى أحد جانبى هذه المشيمة يجرى دم الجنين فى أوعيته الخاصة ليتبادل المواد مع تربة أرض البعث حيث يتسلل إلى دم الجنين الغذاء والأكسجين المذاب فى الوقت الذى ترشح فيه من هذه الأوعية المواد العادمة التى يخرجها الجنين .

ويتكون حول الجنين غلاف من بعض خلاياه يمتلىء بالسائل الأمنوسى الذى يسبح فيه الجنين الآخذ فى النمو .

وإذا كانت الروح صاحبة الإرادة فى الخلق الأول تستقر فى الجسد الحى مع بداية الشهر الرابع من بدء التكوين حينما يبدأ الجنين فى تحريك الأعضاء الإرادية كالأطراف والشفتين فإن هذه الروح لن تسكن الجسد فى الخلق الآخر إلا مع نفخ الصور حين يجىء وقت الخروج .

وإذا كان الإنسان يولد فى الخلق الأول طفلاً صغيراً لا يقوى على شىء ولا يعلم بشىء فإن ولادته الثانية لن تكون إلا بعد أن يكتمل خلقه تمام الاكتمال ليخرج من رحم الأرض إنسانا مكتمل النمو ، قوى البنيان ناضج الفكر ، حاد الذاكرة يعى تماماً ما يدور حوله من أحداث ذلك اليوم المشهود ، ويتذكر كل ما مر به من أحداث فى الحياة الدنيا .

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾[1]

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴾[2]

---

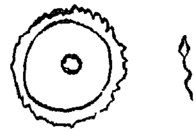
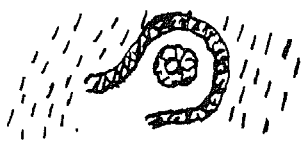
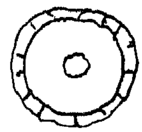
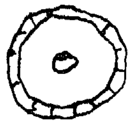
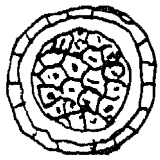
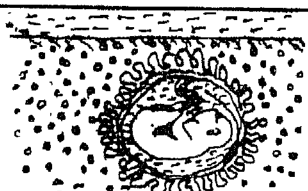
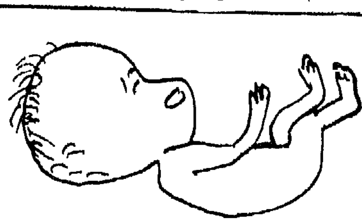
(١) سورة يس الآية (٥٢)

(٢) سورة النازعات ، الآية (٣٥) .

وفى الحديث عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال « يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة ، جرداً مرداً مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيكسون منها ،لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم[1] » والحديث وإن كان يخص أهل الجنة إلا أنه يفيد بصفة عامة أن الانسان سيبعث فى شبابه وليس فى طفولته .

(١) أخرجه الطبرانى فى الصغير (٢/١٤٠).

مقارنة بالاشكال بين الخلق الأول والخلق الأخر

الخلق الأول	الخلق الأخر
 يبدأ الخلق الأول باندماج حيوان منوى يوجد بنواته نصف عدد كروزومات الانسان مع بويضة يوجد بنواتها النصف الآخر للكروزومات.	 يبدأ الخلق الآخر بإذابة غلاف التجرثم السميك الذى كان يحمى الخلية المتجرثمة خلال الحقبة الجرثومية.
 تتكون خلية واحدة يوجد بنواتها ٤٦ كروموزوما.	 تمتص الخلية المتجرثمة الماء وتستعيد قوامها ونشاطها كخلية حية يوجد بنواتها ٤٦ كروموزوما .
 تنقسم الخلية الأولى ليتكون منها كتلة من الخلايا.	 تنقسم الخلية الرائدة ليتكون منها كتلة من الخلايا.
 تغوص كتلة الخلايا فى البطانة الاسفنجية لغلاف الرحم ويبدأ تكون الجنين الذى يكون محاطا بغشاء مملوء بالسائل الامينوسى ويربط بينه وبين المشيمة حبل سرى بينما يمتلىء فراغ الرحم بسائل مائى غنى بالسكريات والأملاح .	 يبدأ تكون الجنين فى تربة هشة القوام غنية بالعناصر الغذائية اللازمة ويتكون حول الجنين غلاف مملوء بالسائل الامينوسى ويصل مابين الجنين والمشيمة حبل سرى بينما يعلو الماء التربة الحاضنة للأجنة .
 يولد الانسان طفلا رضيعا لايقوى على شىء ولايعلم شيئا	 يخرج الانسان من رحم الأرض شاباً قوى البنيان ناضج الفكر حاد الذاكرة .

الباب الخامس

حديث عن القبر

حديث عن القبر

قال تعالى عن الإنسان ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾(١) أى ثم أماته فكرمه بأن يقبر .

وقال سبحانه :

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾(٢) ، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾(٣)

وعن النبى ﷺ أنه قال : « القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار » .

والقبر فى عرف العامة من الناس هو تلك الحفرة التى يوارى فيها جسد الإنسان بعد مماته .

ولا أحسب أن تلك الحفرة هى المقصودة من قوله تعالى :

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾(٤) ذلك أن تلك الحفرة لن يكون لها وجود حتى تقوم القيامة ، فالجسد فيها قد تحلل إلى عناصره المعدنية التى إما أن تكون قد دخلت فى تكوينات صخرية أو امتصتها النباتات لتبنى بها خلاياها .

والمقابر بصفة عامة لا تبقى على حالها وإنما هى بمرور الزمان تتحول إلى حدائق أو تشيد عليها المساكن أو تزيلها الرياح وعوامل التعرية أو يعمرها الماء ، ولا يبقى فيها شىء يخص الأموات وأجسادهم الفانية .

---

(١) سورة عبس الآية (٢١) .
(٢) سورة الانفطار الآية (٤) .
(٣) سورة العاديات بالآية (٩) .
(٤) الانفطار الآية (٤) .

كما أن زلزلة القيامة التى ستدك الأرض دكاً لن تدع بقعة من الأرض على حالها وإنما ستقلبها تقليباً لتجعل عاليها سافلها .

ولا أحسب أيضا أن تلك الحفرة هى المقصودة من حديث النبى ﷺ بأن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

وإلا فما بال الذين يموتون فى الحروب أو الفتن ولا يجدون من يوارى أجسادهم فى التراب إلا أن تأكلها الضوارى الجائعة أو الطيور الجارحة ؟!

وما بال الذين يموتون غرقا فى البحار وتتفرق أشلاء أجسادهم بين أمعاء الأسماك والكائنات البحرية ؟!

وما بال الذين تحرق أجسادهم ويذر رمادها فى الهواء ؟! كالهندوس ومن شايعهم .

لذلك فإن الرأى الراجح لدينا هو أن المقصود بالقبر فى آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ هو تلك الجرثومة التى تتخلف من جسد الإنسان ويكون للروح تعلق بها ، وهى كما تقدم مغلفة بمادة شديدة الصلابة لا تتأثر بأى ظروف صعبة أو مخاطر أيا كانت .

فكأن للقبر معنيين .. الأول منهما وهو القريب إلى الأذهان يعنى تلك الحفره التى يوارى فيها الجسد عقب الوفاة ليتحلل فيها إلى عناصره الأولى ثم ينتهى وجودها بعد فترة من الزمان . أما المعنى الآخر للقبر فهو يعنى تلك الجرثومة التى تحفظ الصفات الجسدية فى كتابها وهذا القبر على الرغم من ضيقه الشديد بمقاييس أهل الدنيا إلا أنه سيعود ليتسع عند قيام الساعة ويتحول إلى حفرة فى الأرض بداخلها جسد إنسانى حى يسبح فى السائل الأمينوسى .

يوم الخروج :

ويجف مستنقع الطين اللازب بعدما يكتمل للأجساد نموها فى أكياسها الجنينية .. أو قل قبورها التى اتسعت وصارت كما كانت حفراً فى تراب الأرض .. ولكنها هذه المرة لا تحتوى على جثث متعفنة أو عظام نخرة أو رفات بالية .. وإنما هى تضم أجساداً نضرة ذات أنسجة حية تسبح فى السائل الأمينوسى لها قلوب نابضة ، وعروق تجرى فيها الدماء ، وخلايا تموج بالحيوية والنشاط .. إلى أن يجىء وقت الخروج .

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾[1]

لتعود الروح الغائبة إلى جسدها الحى فيجتمع شمل النفس البشرية .. تلك الروح المتمثلة فى الإرادة البشرية والتى تنتهى عندها كل الأحاسيس والمشاعر .. وليست الروح التى تحيا بها الخلايا .

فى الخلق الأول حينما يكتمل خلق الإنسان ليخرج إلى الحياة الدنيا كطفل رضيع نجد أن عملية الولادة تبدأ بحدوث انقباضات منتظمة فى الرحم ومع كل انقباضة يقل حجم الرحم وهذا من شأنه أن يؤدى إلى دفع الجنين بحيث يتجه رأسه إلى طريق الخروج . وتحت ضغط جدران الرحم ينفجر كيس المياة لينسكب السائل الأمينوسى الذى كان محيطا بالجنين ، وفى ذات الوقت يتسع عنق الرحم تماما مع اتساع عظام الحوض . ومع تتابع انقباضات عضلات الرحم يصبح الطريق ممهداً أمام الجنين لينزلق إلى الخارج مدفوعاً بقوة هذه الانقباضات وهكذا تتم عملية الولادة الأولى ليخرج الإنسان من عالم الأرحام الهادىء إلى عالم الحياة الدنيا الصاخب الملىء بالمتاعب !! .

وإذا كان للأرحام عضلات تدفع بها أجنتها إلى الخارج فهل لأرض البعث الحاضنة للأجنة البشرية عضلات تدفع بها هذه الأجنة للخروج بعدما نضجت يوم القيامة ؟!

نعم للأرض عضلات قوية تتمثل فيما أودعه المولى سبحانه وتعالى فيها من قوة جبارة تعمل على تحريك الجبال ودك الصخور .. وحين يأتى الوقت المعلوم ينفخ فى الصور فتزلزل الأرض زلزالها ، وتنقبض الأرحام ، وتتشقق التربة ليتسع الطريق أمام

---

(١) سورة ق الآية (٤٤) .

الأجنة للخروج إلى عالم الآخرة .. وفى ذات اللحظة تنطلق الأرواح إلى أبدانها ويقول الإنسان ما لها .

والصور آلة النفخ من أمور الغيب مثل الروح والملائكة والعرش والكرسى مثلا لا أحد يعلم حقائق هذه الأشياء إلا الله سبحانه وتعالى ، وقصارى القول فى الصور أن هناك ثلاث نفخات : نفخة الفزع لقوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾(١)

ونفختا الصعق والبعث لقوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(٢)

السماء كالمهل

فى الميلاد الأول حينما يخرج المولود من الرحم يبكى لإحساسه بالبرودة ، فدرجة الغرفة أقل بكثير من درجة حرارة الرحم الذى يعيش فيه ، كذلك يفاجأ بجو ملىء بالأضواء والضوضاء بعد أن كان يعيش فى عالم يحفه السكون وتغمره الظلمات . وأيا كانت قسوة المفاجآت التى عانى منها الإنسان عند مولده الأول فإن المفاجآت المعدة له عند مولده الثانى يوم القيامة أشد قسوة وأوقع أثراً فى نفسه خاصة أنه يولد هذه المرة وهو فى كامل وعيه وعنفوان قوته .. ولنتابع الآن أحداث القصة الشائقة بعد أن خاضت الأرض ، وماجت ، وألقت بما فى بطنها على ظهرها وتخلت .

ها هو ذا الإنسان وقد ردت روحه إلى بدنه يفتح عينه المغلقتين ، فماذا يرى ؟! إن أول ما سيقع عليه بصره .. الشمس المتدنية .. ولكنه لن يراها كما كانت معتادة له فى الحياة الدنيا القرص المتوهج الوديع الذى يشع بالدفء ويغمره بنوره الأبيض الذى يبعث على الانشراح والتفاؤل كل صباح .. بل سيكون للشمس وجه آخر يختلف عن

(١) سورة النمل ، الآية (٨٧) .
(٢) سورة الزمر الاية (٦٨) .

هذه الصورة الجميلة الهادئة حتى أن الإنسان لن يخطر بباله أن ما يراه هو الشمس وإنما سيعتقد أنه شيء آخر يختلف عنها كل الاختلاف .

ذلك أن الأرض ستقترب من الشمس اقترابا شديداً قلنا لربما كانت المسافة بينهما فى ذلك اليوم كالمسافة بين الأرض والقمر اليوم أو أشد قرباً .. إلا أن الشمس ستكون قد كورت وخبت نارها لتتحول مادتها الغازية المتوهجة إلى حالة من السيولة فتصبح جحيماً منصهراً كالفضة المذابة أو الزيت المغلى . ولما كان حجم الشمس يعادل مليونا وثلثمائة ألف مرة حجم الأرض فإن اقترابها الشديد من الأرض سيجعل جرمها يملأ الحيز المرئى للسماء من الأفق إلى الأفق حتى يخيل للناظرين من الأرض أن السماء كلها قد اتقدت جحيماً لا عهد لهم به من قبل .. وسيبدو واضحاً للعيان تيارات الحمم الهائلة لهذه المادة الملتهبة وهى تتماوج فوق رؤوسهم فى دوامات رهيبة . كما ستشاهد بقعاً سوداء داكنة كئيبة المظهر كبيرة الحجم كثيرة العدد تظهر ثم تختفى ثم تعود إلى الظهور ثم تختفى وهكذا كحبات أرز تعلو وتهبط فى حساء يغلى[1] . وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾[2]

أى كالفضة المذابة أو الزيت المغلى .

﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾[3]

أى تضطرب وتتماوج بعنف . هذا فى حين تنطلق اللفحات الحارة والنفثات الساخنة من هذا الجحيم الذى يطبق على الآفاق من كل جانب فيسخن جو الأرض ليصل إلى درجة لم يعهد لها الانسان مثيلاً من قبل فى حياته الدنيا مما سيجعل الأجساد العارية تفيض بعرق غزير اتقاء لهذا الشر الوبيل والهلاك المبين .

ولما كان من الثابت علمياً أنه يصدر من الشمس أصوات وضوضاء بالغة القوة عبارة عن دوى متصل يصم الآذان نتيجة للتفاعلات النووية التى تتم بين عناصرها الهائل من الحرارة الصادر عنها وهى أصوات لا يسمعها سكان الأرض اليوم

(١) هذا ما يمكن مشاهدته اليوم بصورة مصغرة حين النظر الى الشمس باستخدام المناظير المقربة والمرشحات الضوئية .
(٢) سورة المعارج الآية (٨) .
(٣) سورة الطور الآية (٩) .

نظراً لبعد المسافة بينهم وبين الشمس حاليا [حوالى ثلاثة وتسعين مليون ميل] فإنه باقتراب الأرض الشديد من الشمس فى يوم البعث سيتسنى لأهل الأرض حينئذ سماع تلك الأصوات المرعبة التى هى أشد قوة من دوى الرعد المتصل والقنابل المدمرة والشلالات المزمجرة .

وحيث إن الشمس ستكون بصفة عامة أقل حرارة مما هى عليه اليوم(1) فإنها لن تشع بذلك الضياء الأبيض الجميل الذى نستمتع به اليوم فى الحياة الدنيا والذى هو مجموع ألوان وإنما سيستحيل لونها إلى لون أحمر قرمـزى ينعكس ضوؤه على كل المرئيات وذلك مصداقاً لقوله تعالى .

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾(2)

وهذا مما يثير فى النفوس المزيد من الهلع والرعب فوق ما هى عليه أصلا من كرب وبلاء عظيم .

قلنا إن الجو سيكون شديد الحرارة .. أى أن هناك جواً .. ولكن لا تظن أنه جو يماثل جو الأرض فى الحياة الدنيا أى هذا الجو المعبق بالأكسجين وبخار الماء الندى وإنما هو جو مشبع بالعوالق والجسيمات والغبار الذرى والغازات غير المستساغة وهى كلها أشياء نتجت من المادة المقذوفة من الشمس أثناء حقبة تقلصها أو تكويرها كما هو مشاهد اليوم بالنسبة لنجوم النوفا والسوبر نوفا . أى تلك النجوم التى تقذف بجزء من مادتها على طبقات غازية ثم تنكمش .

وهذا الجو الخانق هو الشىء المتوقع لجو يوم القيامة الذى هو يوم تكدير وغضب لا رحمة فيه ولا شفقة إلا ما شاء الله .. وقد ارتبط ذكره فى القرآن الكريم بالدخان والغمام أى الغازات المعتمة الخانقة حيث يقول سبحانه :

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(3) ، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾(4) .

---

(1) ولكن اقترابها الشديد من الأرض سيجعل حرارتها أشد وأنكى على الإنسان مما هى عليه اليوم بالصورة التى سبق بيانها
(2) سورة الرحمن الآية (37) . (3) سورة الدخان الآية (10 ــ 11) . (4) سورة الفرقان الآية (25).

وكما ذكرنا فإن الجاذبية العامة ستصعف كثيرا عما هى عليه اليوم . وهذا يعنى أن البشر سيعانون من حالة تقرب من انعدام الوزن حتى أنه سيتعذر التخلص من افرازات الجسد ، فالعرق الغزير مثلا سيظل ملازما لصاحبه ملازمة شعره لجسده ، حتى أن البعض يكاد يغرق فيما أحاط به من العرق ، ذلك أن الجاذبية الواهنة لا تساعد على نزول العرق إلى أسفل بسهولة كما أن الجو الخانق لا يساعد على تبخيره ، وسيتفاوت الناس فى افراز العرق طبقا لحالاتهم النفسية فأشد الناس خوفا وذعرا من هذه الأهوال الجسيمة سيكونون أكثر الناس افرازا للعرق الذى سيصعب عليهم التخلص من ملازمته لأبدانهم للأسباب التى ذكرناها وهذا مما سيزيد من معاناتهم وذعرهم . أما أولئك الذين اطمأنت نفوسهم وكانوا على ثقة من أنهم ناجون من هذا الكرب المبين سيقل عندهم افراز العرق إلى الحد الذى يكفى للوقاية من قيظ الحر .

وفى الحديث عن المقداد بن الأسود رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل) قال سليم ابن عامر وهو من رجال سند الحديث : فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه الجاماً قال : وأشار رسول الله ﷺ إلى فيه .

والحر الشديد والعرق الغزير يترتب عليه الشعور بالعطش ، والعطش ما لم يروه ماء عذاب فوق العذاب . وصدق الله العظيم إذ يقول .

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[1]

ويقول سبحانه وتعالى فى وصف عباده الصالحين :

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

---

(١) سورة المزمل الآية (١٩/١٧) .

مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾
إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً
وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ
فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾[1]

اللهم اجعلنا منهم .. اللهم آمين.

---

(١) سورة الانسان الآية (٧ ــ ١٤)

نهار سرمدى

قد يخال البعض أن الليل حينما يقبل بظله وظليله فى ذلك اليوم يرحم جموع البشرية المائجة البائسة العارية الأبدان الحافية الأقدام من لفح الشمس الحمراء المتدنية وحميمها المستعر .

ولكن مهلاً فذلك يوم لا ليل فيه ولا ظلال وإنما هو نهار سرمدى دائم قيظه إلى ما شاء الله ، لا تغيب عنه شمسه التى غطت كل سمائه الحميم المنصهر .

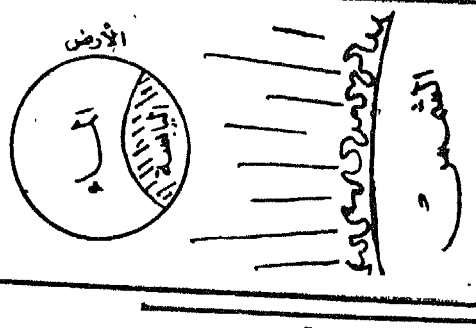
ذلك أن البحار كلها ستلتقى فى بحر واحد بزوال ما كان بينها من حواجز حيث يقول المولى سبحانه وتعالى مخبراً عن أحداث ذلك اليوم :

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾(١)

أى وإذا البحار فتحت بعضها فى بعض بزوال الحواجز التى تفصل بينها ، وما تلك الحواجز إلا قارات اليابسة التى تقسم الماء على الكوكب إلى بحار ومحيطات ، وزوالها يكون بأن تتحرك القارات كلها لتلتقى فى قارة واحدة ، بمعنى أن اليابسة التى تشكل ربع مساحة الكرة الأرضية ستكون بمثابة جزيرة واحدة فى خضم بحر واحد من الماء الذى يمثل ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية وبذلك تكون اليابسة كلها على جانب واحد من الكرة الأرضية وهو الجانب الذى سيطل بصفة دائمة على الشمس بذات الكيفية التى يطل بها وجه واحد للقمر على الأرض.اليوم .. أى أن الأرض فى ذلك اليوم ستدور حول نفسها دورة واحدة فى كل دورة تقطعها حول الشمس .

هذا إذا ظلت الأرض تدور إلى ذلك اليوم ..أو لربما تكف الأرض عن الدوران نهائيا معرضة جانب اليابسة فيها للفحات الشمس المتدنية .

التشكل ستلقى البحار كلها فى بحر واحد واليابسة فى جزيرة واحدة تقع على الجانب المطل على الشمس بصفة دائمة .



(١)سورة الانفطار الآية (٣) .

ولقد ثبت بالأدلة والبراهين العلمية أن اليابسة فى كوكب الأرض كانت يوما ما أرضاً واحدة متصعلة ثم انفصلت القارات وتباعدت وهى لا تزال تتباعد إلى يومنا هذا وحيث إن الأرض كروية فإنه سيأتى اليوم الذى تلتقى فيه مرة أخرى فى قارة واحدة .. ونذكر من هذه البراهين ما يلى :

- مطابقة شواطىء أفريقيا وأمريكا وتتطابق حواف أمريكا وأوروبا .
- استمرار بعض سلاسل الجبال والتركيبات الجيولوجية فى بعض المناطق مثل ما بين اسكندنافيا وأمريكا الشمالية وغيرهما .
- بدراسة الحياة القديمة وجد العلماء أن نفس الحفريات القديمة الموجودة فى غرب افريقيا سواء كانت نباتية أو حيوانية موجودة فى شرق أمريكا الجنوبية ، كما أن تلك الحفريات الموجودة فى الجزر البريطانية توجد فى نيوانجلاند فى أمريكا الشمالية .

واهم هذه البراهين على الإطلاق والذى أقنع العلماء بصحة نظرية زحزحة القارات هو أنه ثبت وجود سلاسل جبلية فى منتصف المحيطات تشطر سطح الأرض إلى عدة ألواح أو مسطحات منها سبعة ألواح كبيرة وعشرون مسطحاً صغيراً وتبدو هذه المسطحات وكأنها طافية تتحرك فوق طبقة أكثر منها ليونة ، وتخرج المواد الجديدة الساخنة من مناطق التقاء المسطحات عند السلاسل الجبلية، الموجودة بقيعان المحيطات وتطرح على الجانبين لتحدث ضغطاً يؤدى إلى تباعد المسطحات وما تحمله من قارات .

وأيا كانت الكيفية التى تتباعد بها القارات أو تتقارب فإن الثابت لدينا فى القرآن الكريم هو أن البحار سيفجر بعضها فى بعض لتكون بحراً واحداً وفى المقابل فإن اليابسة ستكون أرضا واحدة متصلة تقع على الجانب المطل على شمس القيامة الدانية لتكون مسرحاً لأحداث ذلك اليوم المشهود .

البحر المتأجج ناراً

كما قد يخال البعض أنه يمكن الهروب من هذا اللفح القائظ باللجوء إلى البحر المحيط باليابسة من كل جانب .

ولكن حذار أن تفعل ذلك وإلا كنت كالمستجير من الرمضاء بالنار .. ذلك

لأن البحر فى ذلك اليوم لا بارد ولا كريم .. لا عليل فيه ولا نسيم .. وإنما هو نار متأججة بقدرة مولاه حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾(١)

أى وإذا البحار صارت ناراً متأججة .

وقد يكون ذلك بتحليل الماء أو بعضه إلى غاز الأيدروجين المشتعل والأكسجين المساعد على الاشتعال فيكون الحريق الهائل المتقدم ذكره .

أو يكون فى نوى الذرات التى تكون الماء .. أو بأى كيفية أخرى تتم بقدرة الله سبحانه وتعالى .. المهم هو أن الماء ستتبدل طبيعته التى عهدناها فى الحياة الدنيا كمادة تروى الظمأ وتخمد النيران إلى مادة مشتعلة حارقة كالمهل يشوى الوجوه .. فسبحان من جعل النار بقدرته برداً وسلاماً على إبراهيم وصير الماء يوم القيامة حراً وحميماً فهو سبحانه وتعالى الذى أوحد الطباع ويبدل فيها بحكمته كيف يشاء .

هيئة الأجساد

رأينا كيف أن الإنسان سيواجه عند خروجه إلى الحياة الآخرة ظروفاً طبيعية فى غاية القسوة وأهوالاً حساماً تنوء بحملها الجبال .. كالحرارة الشديدة والجو المشبع بالدخان والعوائق الخانقة والأشعات القاتلة المنطلقة من الشمس وماء البحر الذى استحال إلى نيران ثم انهيار الجاذبية أو تدنيها الشديد والنقص فى الأوزان والعطش والجوع إن هذه الظروف لو قيست بمعيار الحياة الدنيا لقلنا إنها تعنى الهلاك والموت العاجل ..

ولكن حيث إنه لا موت الا الموتة الأولى فالراجح أن الأجساد الآدمية ستزود بما يعينها على الصمود أمام هذه المهلكات فلا تعود إلى الموت الذى جاءت منه . وهذا ينطلب إجراء بعض التعديلات فى الأجهزة الباطنية والظاهرية للإنسان بما يتمشى مع هذه المتغيرات .. ونجد فى القرآن الكريم إشارة الى هذا التعديل فى الخلقة البشرية حيث يقول المولى سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة التكوير الآية (٦) .

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

أى نحن قضينا بينكم الموت وجعلنا لموتكم وقتاً معيناً وما نحن بمغلوبين على أن نبدل، صوركم بغيرها وننشئكم فى خلق وصور لا تعهدونها .

وهذه هى سنة الله فى خلقه .. أن يزود كل كائن حى بما يعينه على الحياة فى البيئة الطبيعية التى وجد فيها فالكائنات التى تعيش فى البحر مثلا مزودة بما يعينها على الحياة فى هذا الوسط المائى كالخياشيم والزعانف بالنسبة للأسماك وهذه الكائنات تهلك إذا خرجت الى اليابسة التى تتطلب المعيشة فيها أدوات وأجهزة هى غير مزودة بها كالرئتين .. وهناك كائنات تعيش فى البر والبحر معاً كالضفادع وهى مزودة بما يعينها على المعيشة فى هاتين البيئتين .. والطيور مزودة بما يمكنها من الطيران والتحليق فى الجو دون أن يصيبها أذى وقد تلاءمت كل أجهزتها الباطنية والظاهرية بما يحقق لها هذا الهدف .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾(٢)

كما نجد أن الكائنات الحية فى الحياة الدنيا يمر خلقها بأطوار عديدة وفى كل طور نجد أن الخلقة تتلاءم مع البيئة التى يعيش فيها الكائن الحى .. وبالنظر إلى الحشرات مثلا نجد أن خلقها يتقلب من بيضة فيرقة فعذراء فحشرة كاملة وهى فى كل طور من الأطوار يتلاءم خلقها بما يتناسب مع البيئة التى تحيط بها فاليرقة دودة تزحف على الأرض لها فكوك قوية تأكل بها أوراق النباتات ثم تحيط هذه الدودة نفسها بشرنقة من الحرير أو الطين أو الكتين لتخرج منها بعد فترة من الزمان وقد تحولت إلى خلق آخر فى صورة حشرة كاملة لها أجنحة تحلق بها بين الأغصان وأرجل تحط بها على الأزهار وخرطوم تمتص به الرحيق وكأنها لا تمت بصلة الى تلك الدودة التى كانت تزحف على الأرض .

والجنين فى الرحم يتغذى ويتنفس ويتخلص من العوادم وذلك من خلال الحبل

(١) سورة الواقعة الآية (٦٠/٦١) .

(٢) سورة الملك الآية (١٩) .

السرى والمشيمة كما أن جلده يفرز مادة بيضاء تشبه طبقة الشحم التى يضعها السباح على جسده قبل أن يسبح مسافة طويلة ، هذه المادة البيضاء تعمل على حماية الجلد من السائل الامينوسى المغمور فيه طوال فترة الحمل .

ولكن حينما يخرج الجنين إلى الحياة الدنيا كطفل صغير يتنفس الهواء برئتيه ويهضم الطعام بأمعائه كما تختفى المادة البيضاء من جلده حيث لم يعد لوجودها حاجة . أى أن خلقه تعدل بملا يتلاءم مع البئة الجديدة التى خرج اليها .

كذلك فإن الإنسان سيخرج إلى الحياة الآخرة يوم القيامة بهيئة جسدية تتمشى مع البيئة القاسية التى سبعايشها حال خروجه . وهذا لا يعنى أن هذه الهيئة البدنية ستهون عليه من المعاناة التى سيلاقيها من تلك البيئة القاسية والظروف الصعبة ، وانما هى تعنى فقط أن هذه المهلكات لن تسلمه الى الموت ليجد فيه خير مهرب من هذه الأهوال الجسام . أى أن هذا الجسد سيصد عنه الموت ولكن لن يحميه من العذاب والمعاناة والفزع والذعر فالانسان فى تلك اللحظة كأهل النار حين يصف أحوالهم القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾(١)

﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾(٢) .

ولربما كانت الجينات المسئولة عن إحداث هذا التغيير فى خلق الإنسان موجودة فى نوايا خلاياه منذ خلقه أول مرة فى الحياة الدنيا ولكنها كانت جينات خامدة أو معطلة إلى يوم القيامة حيث لعبت دورها فى إحداث التغيير المطلوب أو قد يرجع نشأة هذه الجينات إلى عوامل خاصة أثرت فى الخلية المتجرثمة خلال حقبة التجرثم أو الحقبة التى سبقت بدء البعث وتكون الأجنة مثل تأثر الخلية المتجرثمة بماء المطر ذى المواصفات الخاصة أو تعرضها لنوع معين من الشمس فأحدث ذلك تغييرا فى بعض الجينات الموجودة بالكتاب الحفيظ وفقاً لتقدير المشيئة الإلهية .

---

(١) سورة ابراهيم الآية (١٧) .

(٢) سورة الأعلى الآية (١٣) .

ويلاحظ أن القرآن الكريم يصف الناس يوم القيامة بالجراد تارة وبالفراش تارة أخرى وذلك حيث يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾(١)

أى يخرجون من القبور كأنهم من الكثرة والسرعة جراد كثيف .

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾(٢)

والجراد والفراش من الحشرات الطائرة خفيفة الوزن ضئيلة الحجم ، ولعل هذا التشبيه يفيد بأن أجساد البشر ستكون أكثر خفة ورقة وقد يرجع ذلك إلى ضعف الجاذبية العامة فى الكون .

السمع والبصر :ـ

الثابت من آيات القرآن الكريم أن الإنسان سيبعث ولديه سمع وبصر حيث يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾(٣)

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(٤) .

وثابت من آيات القرآن الكريم أيضاً أن بصر الإنسان يوم القيامة سيكون أحدَّ مما كان عليه فى الحياة الدنيا .

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾(٥)

وسيتمكن الإنسان حينئذ من رؤية الأشياء التى كان يعجز عن رؤيتها فى الحياة الدنيا كالملائكة .

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾(٦) .

---

(١) سورة القمر الآية (٧) .
(٢) سورة القارعة الآية (٤) .
(٣) سورة ق الآية (٤٢) .
(٤) سورة الزمر الآية (٦٨) .
(٥) سورة ق الآية (٢٢) .
(٦) سورة الفرقان الآية (٢٢) .

وهذا السمع والإبصار القوى الخارق سينقلب بالنسبة لبعض الناس فى مرحلة لاحقة للبعث وهى الحشر إلى عَمَى وبَكَمْ وصَمَمْ .

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ (١) .

هؤلاء البؤساء هم أشرار الناس فى الحياة الدنيا ممن كانوا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٢)

أحسن تقويم .. وأسفل سافلين :—

ميز الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان فى الحياة الدنيا الى نوعين أو زوجين هما الذكر والأنثى .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾(٣)

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾(٤) .

وفضل الله سبحانه الرجال على النساء .

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(٥) .

والهدف من هذا التنويع فى الخلقة هو التكاثر ، وإنجاب الأبناء والحفاظ على نوع الإنسان .

وفى الآخرة حيث لا تكاثر ولا إنجاب فإن الناس سيتميزون إلى ثلاثة أزواج أى ثلاثة أنواع : السابقون ، وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة .

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾(٦) .

(١) سورة الاسراء الآية (٩٧) .
(٢) سورة طة الآية (١٢٦/١٢٤)
(٣) سورة الحجرات الآية (١٣) .
(٤) سورة النجم الآية (٤٦/٤٥)
(٥) سورة البقرة الآية (٢٢٨) .
(٦) سورة الواقعة الآية (١٠/٧) .

وذلك بحسب الأعمال والتقوى والإيمان .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(١)

والتفضيل بين هذه الأنواع الثلاثة من البشر لا يقتصر على نوع المسكن والملبس والمأكل والمعاملة التى سيلقاها كل نوع وإنما سيشمل خلقة الأجساد حيث يقول سبحانه :

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾(٢)

وقد لا نبالغ كثيرا إذا قلنا إنه سيمكن التمييز بين أهل الميمنة ، وأهل المشأمة ، بالسهولة التى نميز بها بين الإنسان والحمار مثلاً فى الحياة الدنيا .

إن هذا التمييز فى هيئات البشر قد يتم عند البعث أو على أرض المحشر أو قد يؤجل إلى ما بعد الحساب وبدء الثواب أو العقاب .

أرض المحشر :

ليس الإنسان وحيداً فى هذا الكون وإنما تعج السماوات والأرض بخلق لا يعلم عدده إلا الله .. قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾(٣)

والأرض التى يعيش عليها الانسان هى مجرد كوكب بالغ الصغر بالنسبة إلى الكون الكبير المليء ببلايين الكواكب والنجوم والمجرات .

والكون الذى نراه ما هو إلا سماء واحدة أو بعض من هذه السماء التى هى واحدة من سبع سماوات شداد لا يعلم خلقهن إلا الله العزيز القدير .

(١) سورة الحجرات الآية (١٣) .
(٢) سورة الشورى الآية (٢٩) .
(٣) سورة التين الآية (١ ــ ٦)

ويوم القيامة حدث لا يخص كوكب الأرض وحده وإنما هو حدث كونى عظيم يعم الوجود كله بسماواته وأراضيه[1] قال عز من قائل :

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[2] .

وقد يعنى هذا أن مشاهد البعث الأولى سيتكرر حدوثها فى كل كوكب مأهول بالسماء الدنيا وفى آن واحد تنكدر النجوم وتقترب الكواكب المأهولة من النجوم التى تتبعها .

وبعد أن تبعث كل الخلائق فى الأماكن التى عاشت وماتت فيها نبدأ الرحلة الكونية العظيمة إلى أرض المحشر .. حيث يساقون إليها أفواجاً من كل حدب وصوب .. والسماء المنيعة التى يفصل بين نجومها ومجراتها بلايين السنين الضوئية تفتح يومئذ أبواباً ليزول حاجز الزمان والمكان ولتلتقى الخلائق كلها فى آن على ذات المكان .

ولن يحشر أهل السماوات والأرض على كوكب الأرض . فما هذا الكوكب إلاهباءة كونية لا تتسع لهذه الجموع الهائلة التى لا يحصى عددها إلا الله سبحانه وتعالى وانما يحشر الناس على أرض أخرى غير هذه الأرض حيث يقول النبى ﷺ فى حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء » (أى يضرب لونها إلى الحمرة) كقرصة النقى (أى الخبز الأبيض إذا خرج من النار) لس فيها معلم لأحد .

إنها أرض **عظيمة** سوف تتسع لكل ما خلق الله فى السماوات والأرض :

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[3] .

وفى أرض المحشر يتم الحساب وتوزن الأعمال لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .

---

(١) للسماوات والأرض معان متعددة فى القرآن الكريم ويعد المؤلف حاليا بحثا يتناول فيه هذه المعانى بالدراسة والتحليل

(٢) سورة مريم الآية (٩٣/٩٥) (٣) سورة ابراهيم الآية (٤٨)

وبعـــد ....

لا يبقـى الآن إلا أن نعلق فى نظرة شاملة على ما سبق عرضه فى هذا الكتاب لنتبين الهدف والغاية والفائدة المرجوة من وراء تأليفه .

إن هذا الكتاب يتناول بالبحث والدراسة عملية احياء الجسد الانسانى يوم القيامة بعد موت هذا الجسد وتحلل خلاياه الى العناصر المعدنية الأولية التى تتركب منها لتخرج بتصور واضح عن هذه العملية يتفق مع ما جاء عنها فى القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ الصحيحة وسنة الله تعالى فى خلق الكائنات الحية والتى تجلت فى الاكتشافات الحديثة لعلماء الأحياء والكيمياء الحيوية .

إن كثيرا من التصورات المبهمة والغامضة ارتبطت بعملية البعث فى مخيلة كثير من الناس .. ففى حين يرى البعض استحالة إحياء الموتى وعودة أجسادهم إلى ما كانت عليه بعد فنائها ، يرى آخرون أن البعث ما هو الا تجميع ميكانيكى للرفات والاشلاء المبعثرة والعظام المتهشمة لتعود كل ذرة وكل عظمة إلى مكانها فى الجسد بقوة شد مغناطيسية هائلة تعيد للجسد كل ما تفرق منها فى بقاع الأرض وقيعان بحارها .

ومع إيماننا المطلق بقدرة الله سبحانه وتعالى على كل شىء وانه لا يعجزه إحياء الأجساد بعد موتها بأى كيفية كانت .. نقول إنه سبحانه وتعالى قد بين لنا فى القرآن الكريم أن إحياء الموتى يوم القيامة سيكون مماثلا لإنبات النبات ، وسيكون مماثلا للخلق أول مرة ، وأن هناك كتابا حفيظا تسجل فيه صفات الانسان وخواصه والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يؤكد أن الناس سينبتون من بذرة صغيرة كما ينبت البقل ، ثم تأتى الاكتشافات الحديثة وتتجلى الحقائق المبهرة ليعلم العلماء المتخصصون أن الكتاب الحفيظ يوجد بنواة كل خلية ، وأن هناك بعض الخلايا الحية كالبكتريا حينما تواجه ظروفا

غير ملائمة تتجرثم وتتجمد فيها كل مظاهر الحياة وقد تتعرض خلال فترة تجرثمها ، لعوامل مهلكة ومع ذلك فهى تعود إلى الحياة بمجرد تحسن الظروف التى أدت إلى تجرثمها ، وأن هناك كائنات كالفيروسات تتقلب ما بين عالم الجمادات وعالم الكائنات الحية مراراً وتكراراً كل هذه الشواهد والأدلة تقطع بأن إحياء الأجساد يوم القيامة لن يخرج على سنة الله سبحانه وتعالى فى الخلق :

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1] .

إن تصور البعث على أنه تجميع ميكانيكى للأجزاء المبعثرة والعظام المهشمة يرجع إلى الفهم السطحى لبعض آيات القرآن الكريم .. ولنأخذ مثلاً لذلك قوله تعالى :

﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾[2].

وهى جزء من الآية ٢٥٩ من سورة البقرة التى تحكى قصة ذلك النبى الذى اماته الله هو وحماره مائة عام ثم بعثه وظاهر النص يفيد بأن الهيكل العظمى للحمار تكون بالجمع الميكانيكى ثم كسى بذات اللحم الذى تحلل الى تراب .. وقد يكون هذا هو ما حدث بالفعل فى تلك الواقعة لتكون دليلاً على أن الله على كل شىء قدير .. ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن يتم إحياء الموتى يوم القيامة بذات الكيفية .. فلقد ورد فى القرآن الكريم عن خلق الإنسان فى الحياة الدنيا إنه يبدأ بالعظام ثم تتم كسوتها باللحم وذلك حيث يقول سبحانه :

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾[3] .

ويفيد التفسير السطحى للآية بأن المضغة تتحول إلى هيكل عظمى ثم تتم كسوة هذا الهيكل باللحم مع أن هذا لا يحدث بالضبط وإنما تفسير الآية كما أفاد بذلك العلماء المتخصصون هو أن الخلية العظمية تسبق فى الخلق والتكوين الخلية العضلية وأن الجنين المتكون يكون شفافاً هلامياً فى بادىء الأمر .

(١) سورة الاحزاب الآية ٦٢.
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٩.
(٣) سورة المؤمنون الآية (١٤) .

كذلك فى قوله تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾(١)

ينصرف تصور البعض إلى أن جمع العظام لايكون إلا بالطريقة الميكانيكية مع أن المقصود فى الآية هو إعادة العظام إلى ماكانت عليه وقد يكون ذلك بالطريقة الميكانيكية أو بغيرها ولكن الثابت فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وسنة الله فى خلقه أن هذه الإعادة ستكون بذات الكيفية التى بدأ بها الخلق الأول وبذات الكيفية التى ينبت بها النبات من بذرة واحدة .

وقد يرجع التصور الميكانيكى للبعث إلى تشبيه الإنسان خالقه بنفسه . فالإنسان حينما تتحطم آلاته . وأدواته التى صنعها بيده ليس أمامه سوى الجمع الميكانيكى ليعيدها إلى ماكانت عليه ويستحيل عليه أن يعيدها بطريقة الإنبات مثلا فهو لايستطيع أن يصنع بذوراً تنتج سيارات وآلات .. ولكن الله على كل شىء قدير .

وفى تصور كثير من الناس أن البذرة التى سينبت منها الجسد يوم القيامة هى عظمة توجد بعجب الذنب أو هى الفقرات العصعصية للعمود الفقرى حتى أنه أشيع بأن هذه الفقرات العظمية شديدة الصلابة وأنه لايمكن تحطيمها بأى حال من الأحوال .. وهذا قول يجافى الحقيقة فهذه الفقرات وغيرها يمكن تحطيمها وطحنها فضلاً على أنها لو تركت تتحول إلى رفات . وحديث الرسول ﷺ وإن كان قد أفاد بأن هذه النواة توجد بعجب الذنب إلا أنه شبهها بحبة الخردل وهى حبة صغيرة يضرب بها المثل فى الأشياء البالغة الصغر ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾(٢)

﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾(٣)

---

(١) سورة القيامة الآية (٣ ــ ٤)

(٢) سورة الأنبياء الآية (٤٧) .

(٣) سورة لقمان الآية (١٦) .

وكما رأينا فإن البذرة التى سينبت منها الجسد يوم القيامة هى نواه خلية واحدة من خلايا الجسد تضمر ، وتتجرثم ، وتفقد كل مظاهر الحياة ، ولكنها مع هذا الصغر البالغ فإنها محاطة بغلاف صلب يحميها من كل عوامل التهلكة .

والبعث يوم القيامة يشبه إنبات النبات من عدة أوجه وقد يكون من المفيد أن نوجز أوجه التشابه فى النقاط الآتية :-

* إذا كان إحياء الأرض الميتة يتطلب وجود بذرة صالحة للإنبات تخلفت عن نباتات سابقة هلكت ، كذلك فإن إحياء الموتى يوم القيامة سيتم من خلال بذور متجرثمة تخلفت من الأجساد التى بليت فى الحياة الدنيا حيث إن كل جرثومة منها مكتوب فيها الصفات الدقيقة والشاملة للجسد الذى تخلفت عنه والبرامج الكاملة التى ستؤدى إلى إتمام خلقه بالصورة المطلوبة .

* واذا كان انبات النبات يتطلب توافر تربة مفتتة وغنية بالعناصر الغذائية ويكون ذلك عن طريق حرث الأرض الصالحة للزراعة ومدها بالأسمدة والمخصبات فإن أرض البعث ستدك عن طريق الزلازل والتغير فى القوانين الكونية حتى تكون الجبال الصلبة كالعهن المنفوش وسيتم تهيئتها لإنبات البشر بحيث تكون غنية بالعناصر والمركبات اللازمة لنمو الخلية الحيوانية كالأحماض الأمينية والأملاح المعدنية والمواد الكربوهيدراتية .

* **وإذا كان الماء** لازماً لإذابة العناصر الغذائية بالتربة ليسهل على جذور النبات امتصاصها فهو كذلك بالنسبة للتربة التى ستحمل الأجنة البشرية يوم القيامة حيث سيساعد الماء على تكون المواد الغذائية اللازمة لنمو هذه الأجنة فضلاً على دوره الفعال كمنظم فسيولوجى لجميع العمليات الحيوية بالجسم ، إن ماء القيامة هو الذى سينبه الجراثيم الآدمية ويعيد إليها نضارتها لتعود إلى الحياة كخلايا نشطة تعمل على إعادة الأبدان بالصورة التى يريدها المولى سبحانه وتعالى .

* وإذا كان النبات يمتص حاجته من المواد الغذائية مباشرة من التربة الزراعية عن طريق الجذور كذلك فإن الأجنة البشرية ستأخذ حاجتها من الغذاء اللازم لنموها بالامتصاص المباشر من تربة البعث عن طريق المشيمة والحبل السرى .

* وإذا كانت الحرارة والإضاءة والرطوبة من العوامل المهمة لإنبات النبات كذلك فإن

هناك ظروفا مناخية ستتهيأ يوم القيامة لإنبات الجراثيم البشرية وهى ظروف لم يعهدها الإنسان فى الحياة الدنيا ستنشأ نتيجة لتغيرات جذرية فى الشمس والأرض والغلاف الجوى والكواكب والنجوم والمجرات والكون كله بصفة عامة وهو ماسيؤدى إلى تغيير كبير فى درجات الحرارة والرطوبة والإضاءة المعتادة لنا اليوم .

وقد رأينا أن هناك أوجها أخرى للتشابه بين عملية البعث يوم القيامة وبين خلق الإنسان أول مرة جنيناً فى رحم أمه . فالبداية واحدة حيث يبدأ كلا الخلقين بخلية واحدة تحتوى على العدد الكامل للكروزومات والجينات ثم يمر الخلقان بذات المراحل تقريبا بما فى ذلك تكون الغشاء المملوء بالسائل الأمينوسى وتكون الحبل السرى والمشيمة ، وعملية الخروج من عالم الرحم إلى العالم الخارجى أيضا تتشابه من حيث وجود قوة طاردة تعمل على دفع الأجساد وإجبارها على الخروج مرغمة تتمثل هذه القوة فى انقباض عضلات الرحم فى الخلق الأول وفى زلزال الخروج فى الخلق الآخر .

كما رأينا كيف أن الاكتشافات الحديثة للحقائق المبهرة فى عالم الخلية الحية ونواتها قد خدمت قضية البعث بعد الموت حيث قدمت هذه الاكتشافات الدليل الحى على أن صفات الإنسان مكتوبة فى كتاب حفيظ بلغة محكمة كل الإحكام . وأنه يمكن بنواة خلية واحدة بناء نسخة طبق الأصل من الجسد الذى أخذت منه هذه النواة . ومع ذلك فهناك من البشر من يسىء فهم واستخدام هذا العلم العظيم .. فبدلا من أن يرى فى هذه المكتشفات دليلاً على القدرة الإلهية والإبداع الفنى للخالق العظيم الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى ، نجده يتطاول على الله ويصور له شيطانه أنه توصل إلى السر الذى سيحوله من مخلوق إلى خالق ، وأنه سيتمكن من تصميم الكائنات الحية وفق هواه ونزواته الطائشة ، ثم خرج علينا بتسمية جائرة لهذا العلم حين اطلق عليه (الهندسة الوراثية) وكأن خلق الكائنات الحية قبل هذه الاكتشافات كان يتم بطرق عشوائية لاتقدير فيها ولاهندسة فأتى هو ليهندسها وفقاً لمشيئته الخاصة . لقد نسى هذا الظالم الجاهل أن الذى وضع القواعد التى يتيه غروراً باكتشافها هو الله .. وأن الذى سخر له هذه القواعد بحيث تكون طيعة لإرادته هو الله الذى سخر له مافى السماوات والأرض ، وماذلك إلا ليبتلى حماقته وظلمه وغروره مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(1)

وقد يأتى اليوم الذى يظن فيه الإنسان أنه صار متحكما فى كل المقدرات والأمور على كوكب الأرض بما فى ذلك خلق نفسه والكائنات الحية وأنه سيتمكن من تحقيق الخلود والملك الذى لايبلى عن طريق التخلص من الجينات المسئولة عن إحداث الشيخوخة والفناء .. وهذا هو بعينه الوهم القديم الذى صوره الشيطان لآدم أبو البشرية حينما أقنعه بالأكل من شجرة الخلد وملك لايبلى فأوقعه فى المعصية التى كانت السبب فى خروجه من الجنة إلى عالم الشقاء . وهاهو ذا الزمان يدور دورته لتعود البشرية الضالة إلى ما بدأت به عهدها وصدق الله العظيم اذ يقول :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(2) .

ومع أن **الهدف من الكتاب** هو بحث كيفية إعادة الجسد إلى الحياة .. إلا أنه تعرض لبعض الظواهر الكونية التى ستكون مصاحبة لعملية البعث يوم القيامة ، وعلى وجه الخصوص تكوير الشمس ، واقتراب الأرض الشديد منها ، وعلاقة ذلك بهيئة السماء التى ستكون يومئذ كالمهل . حيث إن كثيراً من الناس يتصور أن الاقتراب الشديد من الشمس لن يغير شيئا من مظهرها المألوف فى الحياة الدنيا أى إنها ستبدو له بذات حجمها الذى نراه اليوم كقرص صغير أو أكبر قليلا وأنه لاعلاقة بين صيرورة السماء كالمهل وبين الاقتراب من الشمس . مع أن التأمل الدقيق فى هذه المسألة يثبت خلاف ذلك فالشمس حينما تقترب من الأرض اقتراباً شديدا لن تبدو للناظرين إليها من سطح الأرض كقرص صغير أو حتى قرص كبير وإنما هى ستملأ صفحة السماء بالنسبة للناظرين حتى تطبق على كل الآفاق فلا يبدو مرئيا فى السماء إلا الشمس ،

---

(1) سورة الأحزاب الآية (72) (2) سورة يونس الآية (24)

وماالسماء التى كالمهل يومئذ إلا سطح الشمس الذى يغلى ويرتعد فى شكل مخيف يثير فى النفوس أحاسيس الفزع والذعر .

ويلاحظ أن الكتاب لم يتعرض للحديث عن الحياة البرزخية ذلك أن موضوع بحثه عن الجسد وكيفية إحيائه وليس عن الروح فى الفترة الزمنية المحصورة مابين الموت والبعث .. واذا كنا نجهل حقيقة الروح وطبيعة جوهرها فى الحياة الدنيا وهى بين جنبينا ، فنحن أشد جهلا بها بعد أن تفارق الجسد .

وقد ورد فى القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ مايفيد بأن الروح فى الحياة البرزخية تحاسب وتحيا حياة فيها النعيم أو العذاب .. ولكن أين تكون هذه الحياة وكيف ؟!.. ذلك مما لايحيط بعلمه إلا الله علام الغيوب ومهما طال أمد هذه الحياة بالنسبة لمقاييس الزمان فى الحياة الدنيا ، فإنها ستمضى سريعا بالنسبة لأهل البرزخ حتى لكأنها يوم أو بعض يوم .

وحينما يبعث الإنسان فإنه لن يتذكر شيئا عن حياته البرزخية وإنما سيتذكر فقط حياته الدنيا لأنه بالتقاء الروح بالجسد تعود للإنسان ذاكرة الحياة الدنيا المكتوبة فى خلايا الدماغ .

والحياة البرزخية تشبه فى ذلك الحياة التى سبقت وجود الإنسان فى الحياة الدنيا حينما شهدنا على أنفسنا بأن الله سبحانه وتعالى هو الحق :

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾[1].

ولكن حينما خرج الإنسان إلى الحياة الدنيا ولد وهو لايدرى شيئاً عن هذا العهد أو عن أى شىء آخر على الإطلاق .. ولد وهو لايدرى شيئاً عن بلايين الأحقاب التى سبقت مولده وكأن هذا الوجود ولد معه يوم ولادته .

كذلك فإنه حينما يبعث يوم القيامة سيظن أنه إنما لبث فى قبره يوماً أو بعض يوم .

(١) سورة الاعراف الآية (١٧٢)

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ
ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]

صدق الله العظيم

---

(١) سورة الروم الآية (٥٥ ـ ٥٦) .

الفهـــرس

المراجـــع

* القـــرآن الكريـــم .
* الأحاديث النبوية الصحيحة .
* تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
* المنتخب فى تفسير القرآن الكريم (المجمع الأعلى للشئون الإسلامية) .
* الحياة بعد الموت - البعث والنشور - للإمام الحافظ أبى بكر بن أبى داود . تحقيق : الشيخ الجوينى السلفى .
* الأحياء (كتب وزارة التربية والتعليم المقررة للمرحلة الثانوية) .
* أسس الكيمياء الحيوية - يو.فيليوفيتش - ترجمه د. حسن معوض عبدالعال .
* أنت وأنا من أين جئنا وكيف نشأنا ؟ الدكتور أميل بقطر .
* قصة الحياة ونشأتها على الأرض - د. أنور عبدالعليم .
* قصة التطور - د. أنور عبدالعليم .
* الكيمياء فى الكون والحياة - د. عبدالملك أبو عوف .
* تشريح وفزيولوجيا الإنسان - فاسيلى تاتاريوف - ترجمة دار مير للطباعة .
* الحياة الخفية - د. عبدالمحسن صالح - مقال بمجلة العربى العدد ٢٣٩ .
* هندسة الوراثة - مقال - زهير الكرمى - مجلة العربى العدد ٢٤٣ .
* الوراثة الدكتور عبدالحافظ حلمى - المكتبه الثقافية ٧٩ .
* حقيقة الإنسان - محمد سلامة جبر .
* أسرار الحمل والولادة د. محمود طلعت .
* التنبؤ الوراثى - د. زولت هارسنياى ترجمة د. مصطفى ابراهيم فهمى .
* الوراثة والانسان (اساسيات الوراثة البشرية والطبية) - د. محمد الربيعى .
* طبيعة الحياة - فرانسيس كريك / ترجمة د. أحمد مستجير .
* رسالة من المخ - حاتم نصر فريد .
* كوكب الارض د. فرخندة حسن .
* عالم الميكروبات - د. محمد صابر .
* الفيروس والحياة . د. عبدالمحسن صالح - المكتبة الثقافية ١٥١ .
* قصة الكون عجب وبهاء - كليفورد د. سيماك ترجمه د. عبدالقوى زكى عياد .
* القوى فى الطبيعة / ف. جريجورييف ، ج. مياكيشيف . ترجمه د. داود سليمان منير .

■ ■ الغــــلاف للفنــــان :
رضــــوان حســـن

سلسلة ثقافية واعلامية

تصـــدرها :

مؤسسة دار الشعب
للصحافة والطباعة والنشر

رئيس قطاع النشر والتسويق
سعاد قنديل

الغلاف للفنـــان :

● رضـــوان حســـن .

● رقم الايداع بدار الكتب ١٠٢١٠/١٩٩٥ م

هذا الكتاب

■ البعث أمر لا مفر منه .. والتفكير فى أمر البعث وأحداث الآخرة عبادة تقرب الإنسان إلى ربه بجانب أنها متعة ونزهة روحية وذهنية لأولى الألباب .

والقرآن الكريم حافل بقصص المعجزات التى تمت بقدرة الله تعالى وإذنه على أيدى المرسلين والنبيين والصالحين ليبين للناس أن البعث أمر لا ريب فيه .

وقد استطاع المؤلف أن يرسم من خلال هذا الكتاب صورة علمية دقيقة لمراحل البعث مسترشدا بما توصل إليه من علوم الأحياء والكمياء والزرع والنبات وعجائب مكونات الخلية الحية ونواتها والرسوم التوضيحية حتى تتكامل هذه الصورة أمام القارىء ليوم البعث العظيم .

مع تحيات : قطاع النشر والتسويق